15.50

جامعة محمد الأول
UNIVERSITÉ
MOHAMED PREMIER

الكلية المتعددة التخصصات
الناظـــــور

نمـــــاذج تداوليـــــة

الدكتور : يوسف تغزاوي

الموسم الجامعي: 2017/2016

مكتبة ووراقة العمران
LIBRAIRIE ALOMRANE

❖ محتوى المجزوءة:

1) مفهوم التداولية لغة واصطلاحاً.
2) نشأة اللسانيات التداولية وتطورها.
3) التداولية وعلاقتها بالعلوم الأخرى.
4) التداولية وفلسفة اللغة العادية.
   1- أوستين Austin.
   2- سورل Searle.
   3- كرايس Grice.
5) التداولية وبناء النماذج التحويلية.
   1- المبادئ المنهجية العامة.
      1-1- أهداف النظرية الوظيفية.
      1-2- موضوع البحث.
      1-3- خصائص الأنحاء الوظيفية.
   2- النحو الوظيفي.
      2-1- بناء البنية الحملية.
      2-2- بناء البنية الوظيفية.
      2-3- بناء البنية المكونية.

❖ المصادر والمراجع:

- باللغة العربيـــــة:

☜ د. أحمد المتوكل: (1985) الوظائف التداولية في اللغة العربية.

☜ د. أحمد المتوكل: (1986) دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي.

☜ د. أحمد المتوكل: (1988) قضايا معجمية.

☜ د. أحمد المتوكل: (1989) اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري).

☜ د. أحمد المتوكل: (1993) آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي.

☜ د. أحمد المتوكل: (1995) قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية.

- باللغة الأجنبية:

✓ Austin (1962) : How to do thing roth words- London.

✓ Cole and Morgan (1975) syntaxe and semantic speach acte.

✓ Dik, S (1978) : Fonctional Grammar.

(1980) : Studies in F.G/ London.

(1989) : The theory of F.G/ Amsterdam.

✓ Grice P.H (1975) : Logic and conversation.

✓ Levinson S.L (1985) : Pragmatics, Cambridge.

✓ Searle J.R (1979) : Expression and meaning/ Cambridge.

(1969) : Speach. Acts/ Cambridge.

1- مفهوم التداولية لغة واصطلاحاً:

يُعد مفهوم التداولية من أهم المفاهيم الحديثة التي شدّت انتباه الدارسين والباحثين لاسيما في العقود الثلاثة الأخيرة، فتضاربت الآراء حول تحديد المصطلح بسبب اختلاف المذاهب ووجهات النظر فيه، إذ ليس من اليسير أن نضع إطاراً نظرياً مقنعاً للتداولية[1]. فقد حاول العديد من الدارسين والباحثين أن يؤسسوا لها أطراً معرفية غير أن تشعب منطلقاتها الفكرية جعل وجهات النظر فيها تختلف وتتضارب، فهي تقع في مفترق طريق البحث الفلسفي واللساني حيث تلتقي اللسانيات والمنطق والسيميائيات وعلم النفس وعلم الاجتماع[2]. وتشير إلى ذلك «**فرانسواز أرمينكو**» «**Françoise Armingaud**» في قولها: «ليست التداولية درساً منكفئاً على نفسه، فهي تصدر مفاهيمها في اتجاهات متعددة... بل تتدخل في قضايا كلاسيكية داخلية للفلسفة، فهي تلبم الفلاسفة... ونكاد نرى جيداً، على العكس من ذلك، إلى أي حد تكون التداولية مفترق طرق غنية لتداخل- اختصاصات اللسانيين، المناطقة، السيميائيين، السيكولوجيين والسوسيولوجيين فنظام التقاطعات هو نظام للإلتقاءات وللافتراقات»[3].

ونظراً للاهتمام الكبير الذي توليه الأبحاث العلمية للمصطلح وضرورة تحديده لما له من دور فعال في بناء النظريات والمناهج، ارتأيت أن أجمع بعض المفاهيم لضبط مصطلح التداولية من الناحية اللغوية والاصطلاحية أيضاً، لأن «التحكم في المصطلح هو تحكم في المعرفة المراد إبلاغها والقدرة على ضبط أنساقها»[4].

1-1- المعنى اللغوي للتداولية:

1-1-1- التداولية في المعاجم العربية:

1- ريم (فرحان عودة المعايطة)، برجماتية اللغة ودورها في تشكيل بنية الكلمة، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع (عمان، الأردن)، د.ط، 2008، ص: 5.

2- علي (أيت أوشان): السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط.1، 2000، ص.ص: 56- 57.

3- فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، 1986، ص.ص: 10- 11.

4- السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، ص: 11.

يرجع المصطلح في أصل اشتقاقه إلى مادة (دَوَلَ) فـ : «الدَّوْلَةُ والدُّولَةُ: العُقْبة في المال والحَرْب سَواء... يقول الجوهري: الدَّوْلَةُ: بالفتح في الحرب أن تُدَالَ إحدى الفئتين على الأُخرى، يقال: كانت لنا عليهم الدَّوْلَة والجَمع الدُّوَلُ، بالضم في المال، يقال: صار الفيء دُولَة بينهم يَتَدَاوَلُونَهُ مَرَّة لهذا ومرة لهذا. قال أبو عبيد: الدُولَة بالضم، اسم للشيء الذي يُتَدَاوَلُ به أي مُدَاوَلة على الأمر. قال سيبويه: وإن شئت حملته على أنه وقع في هذه الحال، ودَالَتِ الأيّامُ أي دارت، والله يُداوِلها بين الناس وتَدَاوَلَته الأيدي أخذته هذه مرّة وهذه مرة... ابن الأعرابي: يقال دَوَالَيْكَ مِنْ تَدَاوَلُوا الأمر بينهم يأخذ هذا دَولة وهذا دَولة، وقولهم دَوَالَيْك أي تَداوُلاً بعد تَدَاوُلٍ»[5].

والملاحظ هنا أن اللفظ ورد عند كل من: «الجوهري» و«**سيبويه**» و«**ابن الأعرابي**» بمعنى الدوران والعاقب على الشيء وانتقاله من شخص إلى آخر أو من مكان إلى مكان، بعد أن كان مستقراً وثابتاً في مكان معين.

وجاء في مقاييس اللغة أن: «الدال والواو واللام أصلان : أحدهما يدلُّ على تحوّل شيءٍ من مكان إلى مكان، والآخر يدلُّ على ضُعفٍ واسترخاء. فأمَّا الأول فقال أهل اللغة: اِنْدَالَ القومُ، إذا تحوَّلوا من مكان إلى مكان ومن هذا الباب تَدَاوَلَ القومُ الشيء بينهم: إذا صار من بعضهم إلى بعض»[6].

وورد لفظ «تداول» عند «**حنّا غالب**» بمعنى التناوب على الشيء حيث يقول: «وناوبه وداوله وغايره: ويقال تَنَاوَبُوا على الأمر وتَدَاوَلُوه»[7].

ويرى «**الفيروز آبادي**» أن لفظ: «تَدَاوَلُوه: أخذوه بالدُّوَلِ. ودَوَالَيْكَ، أي: مُدَاوَلة على الأمر أو تَدَاوُل بعد تَدَاوُلٍ»[8].

5- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور): لسان العرب، تحقيق: عامر أحمد حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.1، 2005، المجلد 6، ص: 350.

6- أحمد (ابن فارس): مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل (بيروت، لبنان)، د.ط، د.ت، المجلد 2، ص: 314.

7- حنّا (غالب): كنز اللغة العربية: موسوعة في المترادفات والأضداد والتعابير، فهرس الألفاظ، مكتبة لبنان ناشرون، د.ط، د.ت، ص: 4.

8- مجد الدين محمد بن يعقوب (الفيروز آبادي): القاموس المحيط، تحقيق: أبو الوفا نصرُ الهُوريني المصري الشافعي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، الكويت، الجزائر، د.ط، د.ت، ص: 1014.

فالتداول هنا جاء بمعنى التحول من مكان إلى مكان تارة، والتعاقب على أمر ما تارة أخرى.

أمّا في معجم «النفائس الوسيط» فالتداول من قولنا: «أَدَالَ الشيء إدَالَة جعله مُتَدَاوَلاً، وأدال الله بني فلان من عدوّهم: نصرهم وغلّبهم عليه ونزع الدولة منه وحوّلها إليهم. دَاوَلَ الله الأيّام بين الناس أي صرّفها لهؤلاء تارة ولهؤلاء أخرى»[9]. ولقد ورد لفظ التداول هنا بمعنى انتقال الملك أو المال من شخص إلى آخر، أو من قوم إلى قوم.

من خلال هذه المفاهيم نخلص إلى أن «التداولية» وردت في المعاجم العربية بمعنى:

- تعاقب وتناوب القوم على الأمر.
- انتقال المال والملك من قوم إلى قوم.
- التحوُّل من حال إلى حال أو من مكان إلى مكان.

ولا تكاد المعاجم الأخرى تخرج عن سياق هذه الدلالات، وفي هذا الصدد يقول «**خليفة بوجادي**»: «ومجموع هذه المعاني: التحول والتناقل: الذي يقتضي وجود أكثر من حال، ينتقل بينهما الشيء وتلك حال اللغة: متحوّلة من حال لدى المتكلم إلى حال أخرى لدى السامع ومتنقلة بين الناس يتداولونها بينهم، ولذلك كان مصطلح (تداولية) أكثر ثبوتاً- بهذه الدلالة- من المصطلحات الأخرى الذرائعية النفعية، السياقية... وغيرها»[10]. فبانتقال اللغة من حال إلى حال من المتكلم إلى السامع يسمح لها بتحقيق التواصل اللغوي.

1-1-2- التداولية في القرآن الكريم:

وردت التداولية بمعناها اللغوي في بعض الآيات الكريمة والشاهد على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[11]: أي لا تلقوا بأموالكم إلى الحكام لتأكلوها بالتحاكم، فتدلوا من الإدلاء و«الإدلاء

9- جماعة من المختصين: معجم النفائس الوسيط، إشراف: أحمد أبو حاقة، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط.1، 2007، ص: 402.

10- خليفة (بوجادي): في اللسانيات التداولية: مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع (العلمة، الجزائر)، ط.1، 2009، ص: 148.

11- سورة البقرة، الآية: 188.

الإلقاء؛ أي إلقاء الأموال إلى الحكام، وفي الأساس أدليت دلوي في البئر أرسلتها ودلوتها نزعتها ومن المجاز دلوت حاجتي طلبتها ودلوت به إلى فلان تشفّعت به إليه وأدلى بحجته أظهرها وأدلى بمال فلان إلى الحكام رفعه»[12] أي؛ أرسله إلى الحكام.

ويقول سبحانه وتعالى في موضع آخر: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ **دُولَةَۢ** بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[13]: ويقول «**أبو عمرو بن العلاء**» في معنى الآية أن «الدَّولة بالفتح: الظَّفر في الحرب وغيره، وهي المصدر وبالضّم اسم الشيء الذي يتداول من الأموال». وكذا قال «**أبو عبيدة**»: «الدُّولة اسم الشيء الذي يُتداول. والدَّولة الفعل. ومعنى الآية: فعلنا ذلك في هذا الفئ، كي لا تقسمه الرؤساء والأغنياء والأقوياء بينهم دون الفقراء والضعفاء»[14].

وقال أيضاً عز وجل: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ **نُدَاوِلُهَا** بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[15].

يقول «**القفّال**» إن الأصل في المداولة: «نقل الشيء من واحد إلى آخر، يقال: تداولته الأيدي إذا تناقلته ومنه قوله تعالى: ﴿كَىْ لَا يَكُونَ **دُولَةَۢ** بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ﴾ أي تتداولونها ولا تجعلون للفقراء منها نصيباً، ويقال: الدنيا دول، أي تنتقل من قوم إلى آخرين، ثم عنهم إلى غيرهم، ويقال: دال له الدهر بكذا إذا انتقل إليه، والمعنى أن أيام الدنيا هي دول بين الناس لا يدوم مسارها ولا

12- شهاب الدين (ابن الخفاجي): عناية القاضي وكفاية الراضي، ضبطه وأخرجه: عبد الرزاق المهدي، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية (بيروت، لبنان)، ط.1، 1997، الجزء 2، ص: 476.

13- سورة الحشر، الآية: 07.

14- أبو عبد الله محمد الأنصاري (القرطبي): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد العليم البردوني، د.م، د.ط، 1963، الجزء 18، ص: 19.

15- سورة آل عمران، الآية: 140.

مكتبة ووراقة العمران
LIBRAIRIE ALOMRANE

مضارها، فيوم يحصل فيه السرور له والغم لعدوه، ويوم آخر بالعكس من ذلك، ولا يبقى شيء من أحوالها ولا يستقر أثر من آثارها»[16].

والملاحظ في هذا المجال أن لفظ «التداولية» ومشتقاته إستعمل في هذه الآيات بمعنى تغيُّر حال القوم من حال إلى حال، أو انتقال الملك من قوم إلى قوم، أو التعاقب والتناوب على أمر ما، وكل هذه المعاني نلمس من خلالها عدم الثبوت والاستقرار والتحول كما هو الأمر بالنسبة للغة، حيث تنتقل من المتكلم إلى السامع في سياق ما، يمكن أن يُفهم أو يُؤوّل إلى عدة معاني وبذلك يكون المعنى غير ثابت ومتحوّل وغير مستقر بين باثه ومتلقيه.

1-1-3- التداولية في المعاجم الأجنبية:

عُدَّ لفظ «التداولية» من خلال المفاهيم التي وُضعت لضبطه في مجموعة من المعاجم الأجنبية أنه منبثق من التقسيم الثلاثي الذي وضعه عالم السيمياء «**شارل موريس**» « **Charles Morris**» لدراسة اللغة، وبذلك عُدّت جزءاً من السيمياء، ويتضح ذلك من خلال النصوص الآتية:

النص الأول: هوة مقتبس من معجم «تحليل الخطاب» «**لباتريك شارودو**» « **Patrick Charaudeau**» و«**دومنيك مانغينو**» «**Dominique Maingueneau**» حيث يرى كل من هذين الباحثين أن التداولية فرع من فروع اللسانيات ويتضح ذلك في قولهما:

La « La pragmatique : notion employée aussi bien comme nom » et dont « une approche pragmatique » que comme adjectif « pragmatique la valeur est très instable : elle permet de désigner à la fois une sous-discipline de la linguistique, un certain courant d'étude du discours ou, la pragmatique plus largement une certaine conception du langage... employée comme adjectif, peut spécifier un composant de langue, à côté du composant sémantique et du composant syntaxique, cette notion est issue de la tripartition de (C. MORRIS 1938) qui distinguait trois domaines dans l'appréhension de toute langue qu'elle soit formelle ou naturelle : 1- la syntaxe, qui concerne les relations des

16- محمد فخر الدين (الرازي): تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر (بيروت، لبنان)، د.ط، د.ت، المجلد 5، الجزء 9، ص: 16.

signes aux autres signes. 2- la sémantique, qui traite leurs relations avec la réalité. 3- la pragmatique qui s'intéresse aux relations des signes avec leurs utilisateurs à leur emploi et à leurs effets »[17].

ترجمته:

التداولية: مفهوم يستعمل «اسماً» كما يستعمل «صفة» منظور تداولي ذو قيمة متميزة «: يمكن لـ :«التداولية» أن تُعرَّف بأنها فرع من اللسانيات أو أنها تيار دراسي للخطاب، كما يمكن أن تعرّف وبصفة عامة كتركيبة خاصة للكلام... التداولية المستعملة كصفة يمكن لها أن تهتم بمُكوّن كلامي، مُكوّن سيميائي ومُكوّن تركيبي، وهذا المفهوم نابع من التقسيم الثلاثي لِـ (موريس 1938) للغة بصفة عامة والذي يميز بين ثلاث مجالات أو مستويات تدرس من خلالها اللغة وهي:

- **المستوى التركيبي**: الذي يهتم بدراسة علاقة العلامات بعضها ببعض.
- **المستوى السيميائي**: الذي يدرس علاقة العلامة بالواقع.
- **المستوى التداولي**: الذي يهتم بدراسة علاقة العلامة بمستعمليها وبمجالات استعمالها وبنتائجها.

وخلاصة هذا التعريف أن التداولية عُدّت فرعاً من فروع اللسانيات أو تياراً يهتم بدراسة الخطاب بصفة عامة، كما أن مفهوم التداولية إنبثق من التقسيم الثلاثي لِـ«موريس» الذي وضعه بهدف دراسة اللغة واعتبر أن هذه الجوانب الثلاثة (التركيب والسيمياء والتداولية) متكاملة ومتداخلة فيما بينها.

وفي سياق آخر يرى كل من «غريماس» «Greimas» و«جوزيف كورطي» «J. Courtés» أن التداولية تهدف إلى التأثير على المشاركين في الحديث وذلك من أجل تحقيق التواصل وإنجاح العملية التبليغية ككل، ويتضح ذلك في النص التالي:

---

17 - Patrick (Charaudeau), Dominique (Maingueneau) : Dictionnaire d'analyse du discours, édition du Seuil, 2002, p : 454.

النص الثاني:

« La pragmatique, au sens américain, vise essentiellement à dégager les conditions de la communication (linguistique), telles par exemple- que la manière, pour deux interlocuteurs, d'agir l'un sur l'autre- pour nous, cette <pragmatique> du linguistique qui a tarait aux caractéristiques de son utilisation, constitue un des aspects de la dimension cognitive car elle concerne en fait la compétence cognitive des sujets communicants, telle qu'on peut la reconnaître (et en reconstruire le simulacre) à l'intérieur des discours-énoncés ainsi :

Le faire persuasif et le faire interprétatif ne constituent pas des paramètres <extralinguistiques> comme pourrait le laisser entendre une certaine conception mécaniciste de la communication-mais entrent à part entière dans le processus de la communication-tel qu'il est envisagé par la sémiotique- ou le destinateur ou le récepteur mais des sujets compétents.

Il va de soit que, dans la ligne même de la <pragmatique> américaine une sémiotique de être élaborée en la communication <réelle> (en tant qu'objet descriptible) peut extrapolant en particulier les modèles de la sémiotique cognitive, issue de l'analyse »[18].

ترجمته:

التداولية- في المفهوم الأمريكي- تهدف إلى دراسة وتوضيح عوامل التواصل (اللسانية) مثلاً: الطريقة التي يؤثر بها المتخاطبون على بعضهم البعض، كما يعتبر هذا المفهوم أنن تداولية الخطاب تدخل في تكوين خلفيات البعد المعرفي لأنها تخص القدرة المغرفية للفاعلين المتحدثين (المرسل/ المرسل إليه) الذين يعتبرون عوامل مؤثرة في عملية التواصل... كما يعتبر هذا الاتجاه أن الفعل

18 - Algirdas Julien (Greimas), Joseph (Coutés) : linguistique sémiotique : dictionnaire résonné de la théorie du langage, Hachette, supérieur (paris), 1979, p : 288.

التأثيري له أهمية كبرى في عملية الاتصال والذي يدخل في جميع مراحلها، فالتداولية بهذا المعنى فعل تأثيري يعتمد على القدرة المعرفية المشتركة والمتبادلة بين المخاطَب والمخاطِب اللذان يسهمان في إنجاز وإنجاح عملية التواصل.

وعُرِّفت التداولية أيضاً في بعض المعاجم الأجنبية بأنها دراسة للغة أثناء استعمالها مع الاهتمام بالمعنى وربطه بالسياق الذي ورد فيه، ويبدو ذلك جلياً في هذا النص المقتبس من معجم «أكسفورد»:

النص الثالث:

التداولية: اسم/ «اللسانيات» هي علم دراسة اللغة كما أنها تدرس كيفية استعمال اللغة لتُعبّر بصفة واقعية وحقيقية عمّا يريد أن يقول (يقصده) شخص ما في حالات خاصة (استثنائية) لاسيما عندما تكون الكلمات الواقعية التي استعملت يمكن أن تظهر لتعني شيء ما مختلف.

وتعني أيضاً الدقّة والجدية في التفكير لحل مشكلات وقضايا بطريقة عملية وحساسة بخلاف امتلاك أفكار ثابتة ونظريات.

فالتداولية إذن هي دراسة اللغة أثناء الاستعمال خلال سياق معين يقوم بتحديد المعنى المراد إبلاغه للمتلقي، كما أن عملية التواصل لا يمكن أن تتمم دون أن تتوفر عناصره أو أطرافه وهي: (المرسل/ الباث) و(المرسل إليه/ المتلقي).

وما يمكن أن نستخلصه من هذه التعريفات أو المفاهيم اللغوية أن التداولية تهتم بدراسة اللغة أثناء استعمالها ضمن سياق محدد، كما أنها تهتم بطرفي العملية التخاطبية (المتكلم/ السامع) لما لهما من دور في تحقيق التواصل بهدف التأثير.

1-2- المعنى الاصطلاحي للتداولية:

1-2-1- التداولية اصطلاحاً عند العرب:

برزت جهود جادة في هذا المجال على الرغم من قلتها، من أهمها جهود الباحث «**طه عبد الرحمن**» و«**أحمد المتوكل**»، حيث ترجع ترجمة المصطلح الأجنبي «Pragmatiques» بالتداوليات إلى الباحث المغربي «**طه عبد الرحمن**» سنة **(1970)**، ويقول في هذا الصدد: «وقع اختيارنا منذ (1970) على مصطلح «التداوليات» مقابلاً للمصطلح الغربي «براغماتيقا» لأنه يوفي المطلوب حقه،

باعتبار دلالاته على معنيي «الاستعمال» و«التفاعل» معاً. ولقي منذ ذلك الحين قبولاً من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم»[19]، ومن هذا المنطلق يُعرّف «**طه عبد الرحمن**» التداولية في قوله: «التداول عندنا متى تعلق بالممارسة التراثية، هو وصف لكل ما كان مظهراً من مظاهر التواصل والتفاعل بين صانعي التراث من عامة الناس وخاصتهم، كما أن المجال، في سياق هذه الممارسة، هو وصف لكل ما كان نطاقاً مكانياً وزمانياً لحصول التواصل والتفاعل، فالمقصود بـ «مجال التداول» في التجربة التراثية، هو إذن محل التواصل والتفاعل بين صانعي التراث»[20].

فالتداول من خلال هذا المعنى جاء بمعنى التواصل والتفاعل، وقد قسم «**طه عبد الرحمن**» أسباب التواصل والتفاعل إلى ثلاثة أسباب وهي: أسباب لغوية وأسباب عقدية وأسباب معرفية[21].

وفي سنة (1985) ظهر مؤلف للباحث المغربي «**أحمد المتوكل**» حول الوظائف التداولية بعنوان: «الوظائف التداولية في اللغة العربية»، حيث عُدّ مؤلفه إنجازاً تداولياً نحوياً هاماً، أسهم في إثراء هذا الاتجاه الدراسي[22]، الذي حصر مصادر التفكير التداولي اللغوي العربي عند العرب في علم النحو والبلاغة وأصوله وتفسيره وكل هذه العلوم تؤول إلى المبادئ الوظيفية، إذ يرى أن «إنتاج اللغويين العرب القدماء، إذا اعتُبر في مجموعه (نحوه وبلاغته وأصوله وتفسيره) درس لغوي «وظيفي» يُشكّل مرحلة من أهم مراحل تطور المقاربات الوظيفية في الفكر اللساني»[23].

وأولت هذه العلوم اهتماماً كبيراً بدراسة القرآن الكريم باعتباره نصاً خطابياً متكاملاً[24] داخل مقامات إنجازه.

19- طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي (الدار البيضاء، المغرب) (بيروت، لبنان)، ط.2، 2000، ص: 27.

20- طه عبد الرحمن: تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي (الدار البيضاء، المغرب) (بيروت، لبنان)، ط.2، 2005، ص: 244.

21- المرجع نفسه، ص: 245.

22- حنفاوي (بعلي): التداولية البراغماتية الجديدة: خطاب ما بعد الحداثة، مجلّة اللغة والأدب (ملتقى علم النص)، العدد 17، (جامعة الجزائر)، جانفي 2006، ص: 51.

23- أحمد (المتوكل): اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري، منشورات عكاظ (الرباط)، 1987، ص: 9.

24- في اللسانيات التداولية: محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص.ص: 140- 141.

1-2-2- التداولية اصطلاحاً عند الغربيين:

عرف مصطلح التداولية مدلولات عديدة منذ ظهوره لأول مرة، حيث يعود أصل اشتقاق هذا المصطلح إلى الكلمة الإغريقية «πQαξcς» التي تعني: «الفعل، التنفيذ، الانتهاء أو إتمام الفعل، طريقة التصرف والتأثير في الآخرين، نتيجة الفعل»[25].

ويعود مصطلح «التداولية» بمعناه الحديث إلى الفيلسوف والسيميائي الأمريكي «**تشارلز موريس**» «**Charles Morris**» سنة (1938) حيث عرّفها بأنها «جزء من السيميائية تهتم بدراسة العلاقة بين العلامات ومستعمليها»[26]. وتمثل التداولية، حسب رأيه إحدى نواح ثلاث يمكن معالجة اللغة من خلالها، سواء أكانت لغات طبيعية «Syntaxe»، الدلالة «Sémantique»، التداولية «Pragmatique»، ومن هنا تكون اللغة بالمعنى السيميائي التام «هي المجموع المتداخل بين شخصين للعلامات السيارة والتي يتحدد استعمالها من خلال قواعد نحوية ودلالية وتداولية»[27].

أما الباحث اللساني «**ليفينسون**» «**S.C Levinson**» يرى أن التركيب يهتم بدراسة الخصائص التأليفية بين الكلمات، والدلالة تهتم بالبحث في المعنى، أما التداولية فتُعنى بدراسة اللغة في الاستعمال ويأتي هذا التعريف تمييزاً لها عن الدراسات البنيوية التي اهتمت بدراسة اللغة باعتبارها نظاماً مغلقاً معزولاً عن المؤثرات الخارجية؛ ولقد اقترح «**ليفينسون**» في كتابه «**Pragmatique**» مجموعة من التعاريف حاول أن يحدد من خلالها مفهوم التداولية نذكر منها[28]:

- التداولية هي دراسة للعلاقات بين اللغة والسياق.
- التداولية هي دراسة لظواهر الخطاب اللغوي من تضمينات واقتضاءات أو ما يسمى بأفعال الكلام Les actes de paroles.
- التداولية هي دراسة كل مظاهر المعنى من غير فصلها عن نظرية الدلالة، فالتداولية بهذا المعنى تدرس اللغة من خلال استعمالها ضمن سياق معين دون إهمالها للمعنى وعلاقته

---

25 - Martine (Bracops) : introduction à la pragmatique, Bruxeles : de Boeck, 2006, p :1.

26 - Ibid, p :1.

27- المقاربة التداولية، ص: 30.

28- إدريس (مقبول): الأسس الابستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، جدارا للكتاب العالمي (عمان، الأردن)، عالم الكتب الحديث (إربد، الأردن)، د.ط، 2008، ص: 264.

بظروف الكلام، فهي تهتم بالمتخاطبين ومقاصدهم والسياق الذي ترد فيه مع مراعاة المقام، وكل هذه العناصر مترابطة ومتداخلة فيما بينها[29].

أما «**فان دايك**» «**Van Dijk**» فيعرفها بأنها علم يختص بـ «تحليل الأفعال الكلامية ووظائف منطوقات لغوية وسماتها في عمليات الاتصال بوجه عام»[30] حيث يرى هذا الأخير أن التداولية تهتم بدراسة الأفعال الكلامية والكشف عن أهميتها في عملية التواصل والأثر الذي تتركه في مستعمليها وتعتبر نظرية أفعال الكلام من أهم الأسس التي قامت عليها التداولية.

وعرفها «**إيليوار**» بأنها «إطار معرفي يجمع مجموعة من المقاربات تشترك عند معالجتها للقضايا اللغوية في الاهتمام بثلاثة معطيات لما لها من دور فعال في توجيه التبادل الكلامي وهي:

- ✓ المتكلمين (المخاطِب والمخاطَب).
- ✓ السياق (الحال / المقام).
- ✓ الاستعمالات العادية للكلام؛ أي الاستعمال اليومي والعادي في الواقع»[31].

والملاحظ هنا أن «**إيليوار**» ركز في تعريفه للتداولية على عناصر التبادل الكلامي المتمثلة في (المتكلم والسامع والسياق ودوره في تحديد المعنى) وذلك لما لها من أهمية في تحقيق التواصل وتجدر الإشارة هنا إلى أن عنصر «السياق» «Contexte» يُعدّ من أهم العناصر التداولية التي يجب أخذها بعين الاعتبار في عملية الإنتاج اللغوي، لأن المعاني الحقيقية للملفوظات لا يمكن تحديدها إلا إذا كانت ضمن سياق معين؛ إذ إن عملية الفهم والإفهام لا يمكن أن تتم بمنأى عن السياق اللغوي الذي يتيح للمُرسِل التلفظ بخطابه ضمن مقام معين يتجه به نحو المرسل إليه، فيصبح معنى الملفوظ هو القيمة الحقيقية التي يكتسبها الخطاب في سياق التلفظ؛ أي إن «المعنى قيمة للملفوظ لا تتحكم فيه اللغة بقدر ما يتحكم فيه مستعملوها»[32]. وعليه فإن كلاّ من هذه العناصر الثلاثة

29- المرجع نفسه، ص: 265.

30- محمد الأخضر (الصبيحي) : المناهج اللغوية الحديثة وأثرها في تدريس النصوص بمرحلة التعليم الثانوي، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه دولة، إشراف: يمينة بن مالك، جامعة (قسنطينة)، 2004- 2005، ص: 95.

31- خولة (طالب الإبراهيمي): مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر (الجزائر)، د.ط، 2000، ص.ص: 176- 177.

32- عبد الهادي الشهري (ابن ظافر): استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة (بيروت، لبنان)، ط.1، 2004، ص.ص: 22- 23.

(المرسِل/ المرسَل إليه/ سياق التلفظ) هي عناصر متكاملة لا يمكن الاستغناء عن أي عنصر منها أثناء عملية التواصل.

اما الباحث «ج. بول» «J. Paul» فهو يتفق مع «إيليوار» من حيث تعريفه للتداولية حيث يعتبرها ««دراسة اللغة في الاستعمال» «in use» أو في التواصل «in interaction» لأنه يشير إلى أنّ المعنى ليس شيئاً متأصلاً في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده ولا السامع وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول «négociation» اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي واجتماعي ولغوي) وصولاً إلى المعنى الكامن في كلام ما»[33] فإذا كانت التداولية تهتم بدراسة اللغة أثناء الاستعمال مركّزة على عملية التواصل، فلا بدّ أن تتوفر جميع عناصر التواصل اللغوي من مرسل ومتلق ورسالة يجب ردها إلى سياقها الحقيقي حتى يتحقق الغرض التواصلي منها. وعلى الرغم من هذا الاختلاف والتضارب في تحديد مفهوم هذا المصطلح وتنوع التعريفات بتنوع الاتجاهات الثقافية والفكرية لواضعيها، إلا أننا نجد أن أغلب المفاهيم تتفق في بعض النقاط التي تسمح لنا باستخلاص مفهوم آمل أن يكون شاملاً وكافياً لتحديد وضبط مصطلح التداولية، حيث يمكن أن تُعرّف بأنها: دراسة اللغة أثناء الاستعمال، دون إهمال المعنى الذي يحدده السياق مركّزة في ذلك على عناصر العملية التبليغية وهي (المرسِل والمرسَل إليه) اللذين يعتبران طرفا الخطاب، أما الرسالة فهي الخطاب الذي يرسله المخاطِب والمخاطَب مراعياً في ذلك المقام ومقتضى الحال لتحقيق التواصل بهدف التأثير في المشاركين في العملية التواصلية ككل. فالتداولية إذن تساعدنا على توضيح مقاصدنا وتحديدها ضمن سياق محدد ومناسب لها «لذلك وُجد مفهوم الفعل ومفهوم السياق، ومفهوم الإنجاز في التداولية»[34].

وتأتي أهمية التداولية في كونها تحاول الإجابة عن بعض الأسئلة الهامة والإشكاليات الجوهرية في الدرس اللساني الحديث من مثل:

- من يتكلم وإلى من يتكلم؟

33- أحمد محمود –نحلة): آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية(الإسكندرية، مصر)، د.ط، 2002، ص: 14.

34- المقاربة التداولية، ص: 5.

- ما هو مقصدنا أثناء الكلام؟
- ما هو مصدر التشويش والإيضاح؟

2- نشأة اللسانيات التداولية وتطورها:

2-1- التداولية في الفكر العربي:

تميزت الدراسات اللغوية في التراث العربي بالاهتمام ببعض الجوانب التي تُعدّ اليوم من أهم المبادئ التي تأسست عليها اللسانيات التداولية، حيث اهتم القدماء بدراسة النص باعتباره خطاباً متكاملاً- متجاوزة بذلك مجرد وصف البنية والشكل النحوي وكل ما له علاقة بعملية التواصل اللغوي- كما اهتموا بمعيار الصدق والكذب ومطابقة الخطاب للواقع وعدمه ومراعاة المقام ومطابقته لمقتضى الحال.

وتبدو هذه المبادئ والسمات التداولية واضحة المعالم في أعمال بعض الباحثين القدماء نحو: الرسالة لِـ «**الشافعي**» (ت: 204هـ)، البيان والتبين لِـ «**الجاحظ**»(ت: 255هـ)، الخصائص لِـ «**ابن جني (ت: 392هـ)**، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها لِـ «**أحمد بن فارس**» (ت: 395هـ)، دلائل الإعجاز لِـ «**عبد القاهر الجرجاني**» (ت: 471هـ)، أصول «**السرخسي**» (ت: 483هـ)، الكشاف لِـ «**الزمخشري**» (ت: 538هـ)، التفسير الكبير لِـ «**فخر الدين الرازي**» (ت: 606هـ) ومفتاح العلوم لِـ «**السكاكي**» (ت: 626هـ). إلى جانب بعض الأعمال الحداثية من مثل: «تجديد المنهج في تقويم التراث» و«أصول الحوار وتجديد علم الكلام» لِـ «**طه عبد الرحمن**» بالإضافة إلى أعمال «**أحمد المتوكل**» من مثل: «الوظائف التداولية في اللغة العربية» و«اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري» و«الدراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي».

وكل هذه الأعمال عالجت بعض المسائل التداولية نحو قضية المقام والتأويل ومقتضى الحال وقواعد استعمال اللغة لدى المتكلمين ودورهم في عملية التبليغ والإفهام، وهذا ما أدى ببعض الباحثين إلى القول بأن اللغويين العرب كانت لهم أسبقية الخوض في مجال الدرس اللساني التداولي، حيث يشير إلى هذه القضية «**سويرتي**» في قوله بأن: «النحاة والفلاسفة المسلمين، والبلاغيين والمفكرين مارسوا المنهج التداولي قبل أن يذيع صيته بصفته فلسفة وعلماً، رؤية واتجاهاً

أمريكياً وأوربياً، فقد وُظِّف المنهج التداولي بوعي في تحليل الظواهر والعلاقات المتنوعة»[35]. فالدراسات اللغوية العربية كانت تقوم في الأصل على النظر في الخطاب مهتمة في الوقت نفسه بدور المشاركين في الحديث (المتكلم والسامع) ودورهم في عملية الفهم والإفهام، وهذا ما يقابل البيان عند «**الجاحظ**» فهو «اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائناً ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجرى القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذاك هو البيان في ذلك الموضع»[36].

فالبيان عند «**الجاحظ**» إذن هو القدرة على الإبانة والكشف عمّا في النفس، والإفصاح عمّا في الضمير بطريق اللسان والألفاظ ومن هنا يتحقق غرض الفهم والإفهام الذي يرتبط في الأصل بالمتكلم ودوره في توضيح ما خفي من معاني للسامع[37].

ثم يشير «**الجاحظ**» إلى أهمية الإفهام في عملية الإقناع والتأثير ويوضح ذلك في قوله: «أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء، لا تنقص ولا تزيد: أوّلها، اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة، والنصبة هي الحال الدالة، التي تقوم مقام تلك الأصناف ولا تقصر عن تلك الدلالات، ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبتها وحلية مخالفة لحلية أختها، وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة، ثم عن حقائقها في التفسير وعن أجناسها وأقدارها، وعن خاصها وعامها، وعن طبقاتها في السار والضار، وما يكون منها لغواً بهرجاً، وساقطاً مطرحاً»[38]. حيث ميز «**الجاحظ**» بين هذه الأصناف الخمسة للدلالة بحسب أهمية كل صنف ودوره في الحياة التواصلية الإنسانية، وهو إذ يعدد

35- محمد (سويرتي): اللغة ودلالاتها: تقريب تداولي للمصطلح البلاغي، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (الكويت)، المجلد 28، العدد 3، مارس 2000، ص: 30.

36- أبو عثمان عمرو بن بحر (الجاحظ): البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة الخانجي (مصر)، د.ط، 1975، الجزء الأول، ص: 76.

37- فوزي (السيد عبد ربه): المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة)، 2005، ص: 122.

38- البيان والتبيين، الجزء الأول، ص: 76.

أصناف الدلالة فإنما يعددها في معرض إحصاء وسائل الفهم والإبانة عما في النفس أيّا كانت هذه الوسيلة[39].

وإلى جانب «**الجاحظ**» نجد «**أبو يعقوب السكاكي**» الذي لا تختلف آراؤه عن آراء «**الجاحظ**» السابقة، فقد بدت ملامح الاتجاه التداولي في أعماله، ويظهر ذلك من خلال اهتمامه بعناصر العملية التواصلية وربطها بمقتضى الحال، وبالمتكلم ودوره في عملية التبليغ، وبوضعية السامع وطريقة تلقيه الخطاب. ويرى «**السكاكي**» أنه لِكلّ من هذين الطرفين (المتكلم / المتلقي) دور فعال في تحديد المقصد وتبليغه وفهمه، فقد يكون المتلقي خالي الذهن تماماً أو متردداً في الحكم، أو منكراً له، وقد يخرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، فيجعل غير السائل- وهو خالي الذهن- كالسائل، وقد يجعل غير المنكر كالمنكر، وقد يجعل المنكر كغير المنكر، منبهاً في الوقت ذاته على ضرورة مراعاة المقام وعلاقته بالمتلقي ووجوب الالتفات إلى أغراض الخطاب[40].

أمّا في العصر الحديث فنجد بعض الأعمال التي نظرت إلى اللغة نظرة تداولية من مثل بعض البحوث التي قدمها كل من «**أحمد المتوكل**» و«**طه عبد الرحمن**» هذا الأخير الذي قام بوضع مصطلح «التداولية» كمقابل للمصطلح الأجنبي «Pragmatique» سنة (1970)، وتتجلى ملامح البحث التداولي عنده من خلال اهتمامه بالكلام والعملية التخاطبية ككل، إذ يرى أن التخاطب يتم بين طرفين يتبادلان أقوالاً معينة بغية وصول كل منهما إلى هدفه وهو التبليغ، إذ يقول في هذا الصدد: «ولمّا كان التخاطب يقتضي اشتراك جانبين عاقلين في إلقاء الأقوال وإتيان الأفعال لزم أن تنضبط هذه الأقوال بقواعد تحدد وجوه فائدتها الإخبارية أو قل «فائدتها التواصلية» نسميها بقواعد «التبليغ» علماً بأن مصطلح «التبليغ» موضوع للدلالة على التواصل الخاص بالإنسان»[41]، من هذا المنطلق يرى «**طه عبد الرحمن**» أن المجال التداولي هو نوع من التواصل والتفاعل بين صانعي التراث من عامة الناس وخاصتهم[42].

39- المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين، ص: 124.

40- نعمان (بوقرة): نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية: قراءة استكشافية للتفكير التداولي في المدوّنة اللسانية التراثية، مجلة اللغة والأدب (ملتقى علم النص)، جامعة (الجزائر)، العدد 17، جانفي 2006، ص: 180.

41- طه (عبد الرحمن) : اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي (الدار البيضاء، المغرب)، (بيروت، لبنان)، ط.1، 1998، ص: 237.

42- تجديد المنهج في تقويم التراث، ص: 244.

ويقصد بالتواصل والتفاعل ذلك التأثير المتبادل بين المشاركين في الحديث في علاقة سببية دائرية تنفي المرجعية المعتمدة في الطرق التقليدية القائمة على مبدأ السببية الخطية[43].

ويرى «**طه عبدالرحمن**» أن أسباب التواصل والتفاعل تنقسم إلى ثلاثة أقسام أو أسباب وهي[44]:

- **الأسباب اللغوية**: ينظر هذا الباحث إلى اللغة على أنها أداة للتواصل والتبليغ والتأثير وكلما كانت هذه الأداة مألوفة لدى المتكلمين كلما كان التبليغ أفيد والتأثير أشد، وبالتالي تتحقق مقاصدهم وغاياتهم المنشودة.
- **الأسباب العقدية**: حيث يعتبر التواصل والتفاعل شرطان لا يتحققان إلا عن طريق اللغة المبنية على العقيدة، وهذه الاسباب لا تقل أهمية في نظره عن الأسباب اللغوية.
- **الأسباب المعرفية**: إن عملية التواصل بين المتخاطبين والتفاعل فيما بينهم تتم عن طريق لغتهم وبموجب عقيدتهم المتعارف عليها فيما بينهم.

أما «**أحمد المتوكل**» فيُعدّ من أبرز ممثلي- الاتجاه التداولي في الكتابات العربية الوظيفية والتداولية الحديثة، ويظهر ذلك من خلال أعماله المتنوعة في هذا المجال، وخلاصة ما قدمه هذا الباحث: أن التحليل التداولي للغة يقتضي الاهتمام بتحديد طبيعة الوظائف التداولية في اللغة العربية، وتتميز دراساته الوظيفية للغة باستنادها إلى ثلاثة عناصر وهي: «التركيب والدلالة والتداولية» ويذهب إلى أن:

- ✓ الوظيفة الأساسية للغات الطبيعية هي التواصل.
- ✓ موضوع الدرس اللساني هو وصف القدرة التواصلية للمتكلم والمخاطب.
- ✓ يرى أن النحو الوظيفي نظرية للتركيب والدلالة، ذات طابع تداولي.

43- ميلود (حبيبي): الاتصال التربوي وتدريس الأدب: دراسة وصفية تصنيفية للنماذج والأنساق، المركز الثقافي العربي (الدار البيضاء، المغرب)، (بيروت، لبنان)، ط.1، 1993، ص: 101.

44- تجديد المنهج في تقويم التراث، ص: 245.

2-2- التداولية في الفكر الغربي: جذورها الفلسفية ومرجعيتها الفكرية:

من المتفق عليه أن اللسانيات التداولية لها أصول فلسفية انبثقت منها، حيث تُعدّ الفلسفة التحليلية المصدر الأول لظهور أحد أبرز المفاهيم التداولية وهو الأفعال الكلامية[45].

لكن كيف انبثق تيار اللسانيات التداولية من رحم التحليل الفلسفي؟

للإجابة عن هذا السؤال لابد من تتبع واستقصاء أهم المبادئ التي اعتمدت عليها الفلسفة في تحليلاتها للظواهر اللغوية:

ظهر تيار الفلسفة التحليلية «**Philosophie analytique**» في النصف الثاني من القرن العشرين في «فيينا بالنمسا» في مؤلفات مجموعة من الفلاسفة أمثال: «**لودفينغ فيتجنشتين**» «**Lwittgenstein (1889- 1951)**»، «**برتراند رسل**» «**B. Russel (1872- 1970)**»، «**رودلف كارناب**» «**R. Carnap (1891- 1970)**» و«**جلبرت رايل**» «**G.Ryle (1900- 1976)**» وتتضح مبادئ هذا الاتجاه الفلسفي في تحليل اللغة- بصفة خاصة- في كتاب بعنوان «أسس علم الحساب» للفيلسوف الألماني «**غوتلوب فريجه**» «**Gottlob Frege (1848- 1925)**» والذي ميّز في مؤلفاته بين المعنى والمرجع، وربط بين مفهومين تداوليين هامين هما «الإحالة» و«الاقتضاء»[46]، كما ميز بين ما يسمى بـ «اسم العلم» و«المحمول» اللذين يعتبران عماد «القضية الحملية» أو كما تسمى أيضاً «القضية الشخصية» «Proposition singulière» وفي توضيح هذا التمييز يقول «**فريجه**»: «إن التصور كما أفهمه يقوم بوظيفة المحمول، أما اسم العلم فإنه عاجز تماماً عن استخدامه كمحمول يبدو أن ذلك محتاج لتوضيح وإلا كان التمييز باطلاً»[47]، حيث يرى «**فريجه**» أن «اسم العلم» يشير إلى شيء فردي معين فهو بذلك يؤدي معنى تاماً ولا يحتاج إلى لفظ آخر ليُتم معناه. أما «المحمول» فهو يدل على «تصور» «**Concept**»[48] يقوم بإسناد مجموعة من الخصائص الوصفية

45- مسعود (صحراوي): التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر (بيروت، لبنان)، ط.1، 2005، ص: 17.

46- التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، ص: 20.

47- محمود فهمي (زيدان): في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية (بيروت، لبنان)، د.ط، 1984، ص: 13.

48- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الوظيفية إلى «اسم العلم»، ولذلك يقوم الاسم بوظيفة الدلالة على معنى عام «الحمل»، بينما «المحمول» يحتاج إلى «اسم علم» ليعطيه معنى.

كما يذهب «**فريجه**» أيضاً في سياق آخر إلى أن أسوار الكلية أو السور «**Quantificateur**» مثل: (بعض، جزء، كل..) ليس لها معنى إذا اقترنت بـ «اسم العلم» فلا تقول مثلاً: «جاء بعض سمير أو كله أو جزؤه»، بينما «المحمول» يكون له معنى باقترانه بهذه الكلمات، فنقول مثلاً: بعض الناس، كل العاملين، وكانت تحليلات «**فريجه**» الدلالية بمثابة رؤية ثاقبة وانطلاقة جديدة في مدرسة التحليل الفلسفي، والذي انتقد من خلال دراساته أعمال الفلسفة الكلاسيكية.

وعلى نفس منهج «**فريجه**» سار الفيلسوف النمساوي «**فيتجنشتين**» وذلك حين وجّه بدوره بعض الانتقادات للمبادئ الوضعانية المنطقية، التي ترى بأن وظيفة اللغة الأساسية تكمن في وصف وقائع العالم الخارجي بعبارات إخبارية يمكن أن نصفها بالصدق إذا طابقت الواقع الخارجي أو نصفها بالكذب إذا لم تطابقه، وأُطلق عليها اسم «الوظيفة المرجعية» أو «الإخبارية» لأنها تحيلنا إلى أشياء موجودة في الواقع[49]، من هذا المنطلق قام الوضعانيون بالتمييز بين الوظيفة المعرفية والوظيفة الانفعالية، فالوظيفة المعرفية هي الوظيفة التي تُستخدم اللغة فيها كأداة تُصوِّر لنا وقائع موجودة في العالم الخارجي، وتُعتبر أن العبارة التي لها معنى هي التي تستطيع وصف شيء موجود في الواقع فإذا طابقته يُحكم عليها بالصدق وإذا لم تطابقه تُعدّ خاطئة، أما «الوظيفة الانفعالية» فهي التي تستعمل اللغة كأداة للتعبير عن مكوناتنا الداخلية من مشاعر وانفعالات، قدم تضطرب من حين لآخر كما هو الحال بالنسبة للشاعر، وتندرج تحت هذه الوظيفة بعض العبارات التي تعالج مسائل الأخلاق والجمال والماورائيات عند الفلاسفة[50] حيث حذف الوضعانيون المناطقة هذه العبارات من دائرة المعنى بحجة أننا لا نجد ما يطابقها في الواقع، لكن هل يصح إبعاد هذه العبارات التي لا تقوم بوصف العالم الخارجي نحو العبارات الأمرية والاستفهامية التي تُعد جملاً إنشائية لا تقبل الوصف لا بالصدق ولا بالكذب عن دائرة المعنى؟

49- المناهج اللغوية الحديثة وأثرها في تدريس النصوص بمرحلة التعليم الثانوي (شعبة العلوم الإنسانية)، ص: 102.

50- عبد الحق (صلاح إسماعيل)، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر (بيروت، لبنان)، ط.1، 1993، ص: 12.

ويجيبنا عن هذا السؤال «**فيتجنشتين**» عن طريق رفضه للتقسيم الذي وضعه الوضعانيون المناطقة لوظيفة اللغة، واعتبر أن معنى الكلمة يتحدد انطلاقاً من استعمالها بعيداً عن أي تصورات غيبية، ويذهب إلى أن «وظيفة اللغة المشروعة فلسفياً هي التسمية أو الوصف أو الإشارة، وترتب على هذا تصور معين للمعنى مفاده أن معنى أي كلمة هو الشيء الذي تمثله أو تشير إليه، والاسم يعني الشيء والشيء هو معناه»[51] ومن هنا ظهرت فكرة ألعاب اللغة عند «**فيتجنشتين**» الذي يرى أنه «عندما يستعمل الفلاسفة كلمة «المعرفة» و«الوجود» و«الشيء» و«الأنا» و«القضية» و«الاسم» ويحاولون إدراك ماهية المسألة، فيجب على الواحد منهم أن يسأل نفسه دائماً: هل يتم استعمال الكلمة بالفعل دائماً بهذه الطريقة في لعبة اللغة التي هي موضعها الأصلي؟ إن ما نفعله هو إعادة الكلمات من استعمالها الميتافيزيقي إلى استعمالها في الحياة اليومية»[52]، حيث ركز هذا الباحث من خلال تحليلاته على البحث في طبيعة اللغة وطبيعة المعنى، بعيداً عن كل تفسير غيبي أو ما ورائي، ومن هنا أصبحت المهمة الأساسية للفلسفة التحليلية هي البحث في اللغة وتوضيحها وفق منهج تحليلي بعيداً عن كل تفسير ميتافيزيقي[53]. وكانت هذه بداية لاتجاه فلسفي جديد عُرف باسم «فلسفة اللغة العادية» الذي يذهب إلى أن اللغة هي الأداة الحقيقية التي تمكنهم من فهم المعنى الذي تحمله في طياتها وبالتالي فهم الكون وحقيقة علاقتنا به فهماً صحيحاً إذ «إن جميع الحالات الموضوعية لشؤوننا، وجميع العلاقات الذاتية مع الأفراد والمجتمع، ومع تاريخ الجنس البشري، قائم على أساس لغوي إن أراد أن يكون له معنى، فالطابع اللغوي مرتبط دائماً وأبداً بالفهم، ما دام المعنى الذي تنقله لنا اللغة لا يصير ملموساً إلاّ على هذا النحو فالوجود الذي يمكن أن يكون مفهوماً أولاً هو اللغة»[54].

ونتيجة لهذا التضارب في الآراء واختلاف وجهات النظر في اللغة وطريقة تحليلها ودراستها انقسم تيار الفلسفة التحليلية إلى ثلاثة اتجاهات كبرى وهي[55]:

51- التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص: 13.

52- المرجع نفسه، ص.ص: 35- 36.

53- التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، ص: 20.

54- المرجع نفسه، ص: 21.

55- التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية، ص: 22.

❄ **الوضعانية المنطقية «Positivisme logique»**: تزعّم هذا الاتجاه «**رودلف كارناب**» حيث اهتم بدراسة اللغات الصورية وأهمل أهمية ودور العملية التواصلية، وذلك بإقصاء اللغات الطبيعية من دراساته.

❄ **الظاهراتية اللغوية «phénoménologie du langage»**: تزعّم هذا الاتجاه الفلسفي «**إدموند هوسرل**» «**I. Husserl**» الذي ابتعد بمنهجه الفلسفي عن الكينونة اللغوية وكل ما له علاقة باللغة والتواصل. إلاّ أنه انبثق عن هذا الاتجاه أهم مبدأ اعتمده «**أوستين**» «**Austin**» و«**سورل**» «**J. Searle**» لدراسة الأفعال الكلامية وهو مبدأ «القصدية» «**Intentionnalité**».

❄ **فلسفة اللغة العادية «Philosophie du langage ordinaire»**: الذي تزعّمه «**فيتجنشتين**» حيث اهتم بدراسة وتحليل اللغة وعدها محوراً لتحليلاته الفلسفية، حيث يرى أن جميع المشكلات تحل باللغة، وأن هذه المشاكل إنما ترجع في الأصل إلى سوء فهمنا للغة. كما اهتم بالجانب الاستعمالي للغة حيث يقول في هذا الصدد: «فالاستعمال هو الذي يُكسب تعليم اللغة واستخدامها»[56]. ويعتمد «**فيتجنشتين**» في دراسته للغات الطبيعية على ثلاث مفاهيم أساسية وهي[57]:

☜ **الدلالة**: يشير هذا الفيلسوف إلى ضرورة التمييز بين ما يسمى بالمعنى المحصل «sens» والمعنى المقدر «signification» وإلاّ وقعنا في الخلط بين مفهومين مختلفين وهما الجملة والقول، لأن الجملة لها معنى مقدر- ما عدا تلك الجمل التي تكتسب معناها من خلال السياق الذي ترد فيه- ويتحقق المعنى من خلال الممارسة اليومية لألعاب اللغة.

☜ **القاعدة**: التي يخضع استعمالها إلى شروط استبدالية «**Paradigmatiques**» ونحوية واجتماعية هذه الأخيرة تخضع إلى التواضع والاصطلاح، فالقاعدة عند «**فيتجنشتين**» لعبة من ألعاب اللغة على المشارك فيها أن يكون ملماً بالقواعد الأساسية (الاصطلاحات الاجتماعية) دون أن

56- التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، ص: 23.

57- الجيلالي (دلاّش): مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية (ابن عكنون، الجزائر)، 1986، ص: 18.

مكتبة ورّاقة العمران
LIBRAIRIE ALOMRANE

يهمل القواعد الثانوية (الاصطلاحات الفردية) لأن هذه القواعد هي التي تسمح فيما بعد بتنوع النشاط اللغوي بصفة غير محدودة.

☜ **ألعاب اللغة**: هي المحور الأساسي الذي قامت عليه تحليلات «**فيتجنشتين**» واعتبره تكملة للمفهومين السابقين (الدلالة، القاعدة)، ويشير هذا الفيلسوف إلى أنه لا يجب أن يتسلل الشك في لعبة اللغة والأهم من كل هذا أن لا تُثبت التجربة عكس ما نتوقعه، حيث يقول: «تصوَّر اللعبة اللغوية التالية: عندما أناديك أدخل من الباب ففي جميع أحوال الحياة العادية، يبدو الإقدام على الشك بأن هناك باباً حقاً ضرباً من المستحيلات»[58].

كما يرى «**فيتجنشتين**» أن اللغة وما تحمله من معنى تهدف إلى ممارسة التأثير الفعلي في غيرنا بالإضافة إلى الفهم والتمثيل، فبدون لغة لن نستطيع التأثير في الآخرين، فهي إذن جزء من نشاط وطريقة حياة، حيث يفسر هذا الفيلسوف هذه النقطة في كتابه (الأبحاث الفلسفية) بقوله: «على كلمة لعبة اللغة أن يُستخلص منها بأن تكلم اللغة، هو جزء من نشاط وطريقة حياة، إذ تُقدِّم بنفسك مختلف ألعاب اللغة بمساعدة هذه الأمثلة التالية، وأخرى غيرها: أأمر أو أعمل بحسب الأوامر- وصف موضوع بحسب ظهوره أو مقاييسه: أضع شيئاً من خلال وصف ما.. القيام بافتراض واختبار:- بتقديم نتائج تجربة، بواسطة جداول أو رسم بياني،- ابتداع قصة: تعاطي المسرح- غناء الدوائر- الحدس بالألغاز: طلب- شكر- شحذ- سلم- تلفظ بدعاء»[59].

ويشير «**فيتجنشتين**» إلى أن قائمة ألعاب اللغة مفتوحة ومتنوعة ومتطورة حسب تنوع وتطور النشاط الإنساني ومقدرته على الإبداع، وهذا ما فتح المجال لظهور أولى ملامح التيار التداولي.

وقد وُجهت مجموعة من الانتقادات لهذا الفيلسوف من طرف بعض فلاسفة أكسفورد من بينها أن «**فيتجنشتين**» لم يكن تداولياً بما فيه الكفاية.

وقد تأثر فلاسفة أكسفورد بمذهبه في التحليل اللغوي واهتمامه بقضية المعنى، ويبدو ذلك جلياً في آرائه التي تبناها كل من «**ج. ل. أوستين**» في كتابه الشهير «كيف تفعل الأشياء بالكلمات»

58- مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص: 19.

59- المقاربة التداولية، ص: 23.

«How to do things with words» سنة (1962) الذي كان له شأن كبير في تطور الاتجاه التداولي ولا سيما نظرية أفعال الكلام وتلميذه «ج. سورل» الذي نظم أفكار أستاذه وطور نظرية أفعال الكلام من خلال اهتمامه بالقوى الإنجازية المُتضَمّنَة في القول ويظهر ذلك جلياً في مؤلفه الذي ظهر عام (1969) بعنوان «أفعال الكلام» «Speech Acts»، بالإضافة إلى جهود «بول جرايس» « H.P Grice» التي أسهمت في تطور الدرس التداولي لاسيما في حديثه عن مبادئ المحادثة[60]، مع الإشارة إلى أن مصطلح «تداولية» لم يظهر في أي مؤلف لهؤلاء الفلاسفة، وفي حقيقة الأمر أن التداولية لم تصبح مجالاً يُعتدّ به في الدرس اللغوي المعاصر إلاّ في العقد السابع من القر ن العشرين بفضل الأعمال التي قدمها هؤلاء الفلاسفة الثلاثة الذي ينتمون أصلاً إلى تيار «فلسفة اللغة العادية» وهي الحضن الأول الذي نشأت فيه نظرية أفعال الكلام حيث كان جل اهتمامهم منصباً على أهمية اللغة العادية ودورها في عملية التواصل وتوصيل المعنى من حلال إبلاغ مرسل ما رسالة إلى متلقي يقوم بفهمها وتأويلها وكان هذا من صميم البحث التداولي[61]. من هنا كان موضوع التداولية هو دراسة اللغة العادية أثناء استعمالها باعتبارها وسيلة تبليغية تواصلية تأثيرية.

وفي الأخير يمكن تحديد بعض النقاط التي تلتقي فيها أبحاث العرب القدماء مع ما قدمه الوظيفيون المحدثون بالإضافة إلى فلاسفة اللغة العادية، منها[62]:

- ✓ تحليل الظواهر اللغوية بحسب نوع إحالتها.
- ✓ ربط المقال بالمقام المناسب له مع مراعاة مقتضى الحال.
- ✓ الاهتمام بدراسة الترابط القائم بين البنية والوظيفة.

3- التداولية وعلاقتها بالعلوم الأخرى:

إن اهتمام التداولية بدراسة اللغة جعلها تلتقي مع مجموعة من العلوم والتخصصات الأخرى ذات الصلة المباشرة باللغة، من بينها علم النفس، علم الاجتماع، السيميائية، الفلسفة.. وهذا ما ذهبت إليه «فرانسواز أرمينكو» في قولها: «ونكاد نرى جيداً، على العكس من ذلك، إلى أي

60- محمد محمد (يونس علي): مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة (بيروت، لبنان)، ط.1، د.ت، ص: 15.

61- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص.ص: 9- 10.

62- في اللسانيات التداولية: مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص: 142.

حد تكون التداولية مفترق طرق غنية لتداخل- اختصاصات اللسانيين، المناطقة، السيميائيين، الفلاسفة، السيكولوجيين والسوسيولوجيين فنظام التقاطعات هو نظام للالتقاءات وللافتراقات»[63].

وفيما يلي سأحاول تحديد بعض النقاط التي تلتقي وتختلف فيها التداولية مع بعض التخصصات للكشف عن العلاقات القائمة بينها وبين علوم أخرى:

3-1- التداولية وعلاقتها بالبنيوية «Structuralisme»:

تهتم التداولية بدراسة الكلام، وهو الجانب الذي أبعده اللساني الشهير «**فرديناند دوسوسير**» من مجال دراساته حين وضع ثنائيته الشهيرة (لغة/ كلام)، حيث اعتبر اللغة نظاماً مغلقاً تتم دراسته بعيداً عن كل المؤثرات الخارجية، وهو بذلك يلغي كل الخصائص الفردية التي تطبع ذلك النظام أثناء الأداء، فحسب قوله: «اللغة تختلف عن الكلام في أنها شيء يمكن دراسته بصورة مستقلة»[64].

وما يمكن قوله في هذا المجال إن الكلام ليس معزولاً عن اللغة إلا افتراضاً لأنه لا يمكن للغة أن تتحقق إلا في مستوى الكلام، حيث تُطبع بخصائص من يؤديها مهما حاول تجنب ذلك «فالكلام، إذن، مظهر من مظاهر تحقق اللغة واقعاً؛ ودراسته هي دراسة الواقع الفعلي للغة، والتداخل واضح بينها»[65]. فكل منهما بحاجة للآخر وما يجعلهما مختلفين إنما هو منهج الدراسة؛ فالبنيوية تهتم بوصف اللغة باعتبارها مجموعة من القوانين المنتظمة بمعزل عن كل ما يحيط بها وهي بذلك تلغي خاصية اللغة التواصلية والتأثيرية، أما التداولية فتهتم بدراسة اللغة أثناء الاستعمال مركزة في ذلك على دور اللغة في عملية التبليغ بهدف تحقيق التواصل ومن ثمة التأثير على متلقي الخطاب.

3-2- التداولية وعلاقتها بعلم الدلالة «Sémantique»:

تعد كل من التداولية والدلالة علمين مترابطين لأنهما يشتركان في اهتمامهما بدراسة المعنى في اللغة[66]، إلا أنهما يختلفان في العناية بجوانبه؛ فالدلالة تدرس المعنى وفقاً للوضع بمعزل عن

63- المقاربة التداولية، ص: 11.

64- فرديناند (دوسوسير): علم اللغة العام، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، دار الكتب للطباعة والنشر (بيت الموصل، بغداد، العراق)، د.ط، 1988، ص: 33.

65- في اللسانيات التداولية: مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص: 123.

66- مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ص1.

السياق وبعيداً عن المقامات التخاطبية[67]. أمّا التداولية فتهتم بدراسة المعنى وفقاً لاستعماله مراعية في ذلك ظروف المتكلمين ومقاصدهم والسياق المناسب لها. إلاّ أن اللغوي «**شاهر الحسن**» يرى أنه لا يصح حصر الدلالة في دراسة المعنى بمعزل عن السياق فـ «السيمانتيكية تعالج معنى الجملة في إطار أدنى من الإشارة إلى المقام، بينما البراجماتية اللغوية تتولى المعنى ضمن إطار المقام المحدد المعالم والمقاصد»[68]. ومن هنا يتضح التداخل والتكامل بين العلمين؛ فالتداولية تبدأ من حيث تنتهي الدلالة، حيث تقوم الدلالة بتفسير الملفوظات وتحديد معانيها الحرفية في إطار أدنى من الإشارة إلى المقام، لكن دون الاهتمام بمقاصد المتكلمين، ثم تأتي التداولية لربط مقاصد المتكلمين بالمقام المناسب لهم مراعية في ذلك شروط نجاح أو إخفاق العبارات الكلامية في إطار السياق الذي ترد فيه- فهي على عكس الدلالة- تدرس العلاقات بين النص والسياق مهتمة في الوقت نفسه بالترابط بين بنية النص وعناصر الموقف الاتصالي الذي يرتبط به على نحو منهجي[69].

3-3- التداولية وعلاقتها بالأسلوبية «Stylistique»[70]:

تتقاطع كل من التداولية والأسلوبية في بعض الجوانب، نحو اهتمامها باللغة إلا أن كلا منهما تختلف عن الأخرى من حيث منهج الدراسة، فإذا كانت التداولية تهتم بدراسة اللغة أثناء استعمالها مع مراعاة قواعد هذا الاستعمال التي توجد في أذهاننا والتي تسمح لنا بتأدية المعنى المطلوب كالقواعد الاجتماعية والعملية والأسلوبية[71]، ومراعاة السياق الذي ترد فيه إلى جانب الاهتمام بالقوى الإنجازية المتضمنة في الأفعال الكلامية وشروط تحقق الفعل بالقول، فإن الاسلوبية تلغي كل الأبعاد التي تخرج من نطاق البعد اللساني للنص الأدبي، فهي وإن أقرت بوجود جوانب ثقافية واجتماعية ونفسية تؤثر في إنتاج النص الأدبي إلا أنها لا تأخذها بعين الاعتبار أثناء

67- المرجع نفسه، ص: 13.

68- شاهر (الحسن): علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، دار الفكر للطباعة والنشر (عمان، الأردن)، ط.1، 2001، ص: 160.

69- فان (دايك): علم النص: مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب (مصر)، ط.1، 2001، ص: 116.

70- بوزيد (مومني): معلقة امرئ القيس: دراسة أسلوبية، مذكرة تخرج ماجستير في علم الدلالة، إشراف: بلقاسم ليباريز، جامعة منتوري (قسنطينة)، 2005- 2006، ص: 31.

71- عبد المجيد (جحفة): مدخل إلى الدلالة الحديثة، دار توبقال للنشر (الدار البيضاء، المغرب)، 1999، ص: 28.

دراستها للنص، فالأسلوبية تقف عند حدود جمالية العبارة وهي بذلك تنظر إلى النص الأدبي من خلال حصره بين ثنائية «النمط والانزياح» أو «الاستعمال المعياري» و«الاستعمال الأدبي» أو «اللغة العادية والكلام الأدبي»[72]. من هنا نخلص إلى أن التداولية تدرس اللغة أثناء استعمالها أما الأسلوبية تهتم بدراسة الجوانب الجمالية للغة كالانزياح مثلاً.

3-4- التداولية وعلاقتها بالبلاغة «Rhétorique»:

تدرس البلاغة كل ما يرتبط باستعمال اللغة وممارستها أثناء عملية التواصل بقصد تبليغ رسالة ما، مراعية مقتضى الحال (لكل مقام مقال). وقد عرّفها «**أبو الهلال العسكري**» من الناحية اللغوية بقوله: «البلاغة من قولهم بَلَغتُ الغاية: إذا انتهيت إليها، وبلّغتُها غيري.. فسميت البلاغة بلاغة، لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه.. والبلاغ أيضاً التبليغ في قوله تعالى: ﴿هذا بلاغ للناس﴾ أي تبليغ»[73].

ولا يخرج معناها اصطلاحاً عن التبليغ والانتهاء إلى قلب السامع «البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع، فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن»[74].

فالبلاغة إذن تقوم على مبدأ التبليغ والتأثير في السامع أثناء عملية التواصل. ومن هنا يصبح التداخل واضحاً بين العلمين، إذ إنهما يشتركان في اهتمامهما بدراسة اللغة بوصفها أداة تبليغ وتأثير وتواصل بين المتكلمين، ويساند هذا الرأي «**ليتش**» «**Leitch**» في قوله: «إن البلاغة تداولية في صميمها؛ إذا أنها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع، بحيث يحلان إشكالية علاقتهما، مستخدمين وسائل محددة للتأثير على بعضهما، ولذلك فإن البلاغة والتداولية البراغماتية، تتفقان في اعتمادهما على اللغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقي»[75].

72- معلقة امرئ القيس: دراسة أسلوبية، ص.ص: 31- 32.

73- أبو الهلال (العسكري): كتاب الصناعتين "الكتابة والشعر"، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية (صيدا، بيروت)، 1986، ص: 6.

74- كتاب الصناعتين "الكتابة والشعر"، ص: 10.

75- التداولية... البراجماتية الجديدة: خطاب ما بعد الحداثة، ص.ص: 66- 67.

3-5- التداولية وعلاقتها بتحليل الخطاب «L'analyse du discours»:

يُعدّ تحليل الخطاب أحد مستويات الدرس اللغوي الحديث الذي يهتم بدراسة النصوص سواء أكانت محكية أم مكتوبة. فبعد أن كانت أنظار الباحثين- حتى منتصف السبعينات من القرن العشرين (20)- موجهة نحو دراسة الجملة وفقاً لمستوياتها «الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية»، والبحث فيما إذا كانت منسجمة وهذه المستويات أم لا، أصبح كل الاهتمام منصباً على تحليل النص، وهذا لمجموعة من الأسباب منها: أن الجملة قد تكون منسجمة مع قواعد النحو والصرف، فتقبل فقط إذا وردت في سياقها المناسب، وتُرفض إذا استعملت خارج سياقها. فمثلاً عبارة «أهنئك بهذه المناسبة السعيدة» تقبل إذا وردت في سياق تهنئة شخص ما على نجاحه وتفوقه أو بمناسبة زواجه، وترفض إذا قيلت مثلاً لشخص فقد عزيزاً، أو فشل أثناء اجتيازه لاختبار ما... وما جعلها غير مقبولة هو السياق الخطأ الذي وردت فيه، والمرفوض اجتماعياً. هذا من جهة ومن جهة أخرى أن عملية التواصل لا تتم بمجرد التلفظ بجمل أو عبارات مستقلة أو منفصلة عن بعضها، من هنا حاول تحليل الخطاب أن يتجاوز الجملة ليشمل النص بمختلف أنواعه (شفوياً كان أو مكتوباً) فعُرِّف بأنه «التحليل اللغوي للخطاب سواء أكان محكياً أو مكتوباً، ويهدف إلى دراسة البنية اللغوية على مستوى يتعدى مستوى الجملة إلى مستويات أكبر مثل الحوار أو النص مهما كان حجمه، ويهتم هذا الميدان أيضاً بدراسة اللغة في سياقها»[76].

من هنا يتضح التداخل بين تحليل الخطاب والتداولية، وتبدو العلاقة وثيقة بينهما، فكل منهما يهتم بدراسة النصوص وتحليلها من خلال الاهتمام بالمتكلمين (المخاطِب) و(المخاطَب) ومقاصدهم والسياق الذي يرد فيه الحوار (الخطاب)، والعناصر الإشارية والمبادئ الحوارية[77].

3-6- التداولية وعلاقتها بعلم اللغة الاجتماعي «Sociolinguistiques»[78]:

يتداخل علم اللغة الاجتماعي مع التداولية في كونه يهتم بالعلاقات الاجتماعية وأثرها على المتكلمين ومقاصدهم وموضوع الحديث وعلى اختيار السمات اللغوية وفي تبيان مراتب المشاركين في الحديث وأجناسهم وغيرها.

76- جماعة من المؤلفين: مقدمة في اللغويات المعاصرة، داروائل للنشر والتوزيع (عمّان، الأردن)، ط.3، 2006، ص: 200.

77- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 11.

78- المرجع نفسه، ص: 10.

3-7- التداولية وعلاقتها بعلم اللغة النفسي «Psycholinguistique»[79]:

تعتمد اللسانيات التداولية في دراستها على بعض المقولات النفسية نحو الاهتمام بقدرات المشاركين (المتكلم والسامع) من خلال النظر إلى شخصياتهم ودرجة ذكائهم وقدراتهم على الانتباه والتذكر والتركيز.. وكل هذه العناصر لها تأثير على أداء الأفراد وقدراتهم التبليغية في الموقف الكلامي.

3-8- التداولية وعلاقتها بتعليمية اللغة «La didactique»[80]:

استفادت التعليمية كثيراً من الدرس التداولي في عملية التعليم من حيث مناهجه ونماذج التمارين والتطبيقات والاختبارات حيث انتقل التعليم من مجرد الاهتمام بتلقين الكفاءات إلى التركيز على أداء المتعلم[81]، وتلقينه كل ما يحتاج إليه، فالأمر لم يعد منوطاً بتدريس قاعدة لغوية (بنية نحوية) معينة بل بتدريس اللغة ضمن سياقاتها وأطرها الاجتماعية، التي تسمح للمتعلم باستعمال الكلام استعمالاً يلائم المقام والمقاصد المراد تحقيقها. فالتعليمية شأنها شأن التداولية تُعنى بالنظر إلى الملكة والتبليغ والمقام.

3-9- التداولية وعلاقتها بالنحو الوظيفي «Grammaire fonctionnelle»:

تعد نظرية النحو الوظيفي التي ظهرت في سبعينيات القرن الماضي ثمرة من ثمرات الدراسات الوظيفية، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر أبحاث «مدرسة براغ» التي عمدت إلى التمييز بين علم الأصوات وعلم الأصوات الوظيفي الذي يقوم على مفهوم «**الفونيم**» «**Phonème**» بالإضافة إلى مخطط «**جاكبسون**» «**Jakobson**» في التواصل بوظائفه الست المعروفة، وأعمال المدرسة النسقية بـ «لندن» التي دعت إلى عدم إغفال الجوانب الثقافية والنفسية والاجتماعية المحيطة باللغة وقد طورت في هذا الاتجاه مفهوم سياق الحال، ودعت إلى دراسة اللغة في إطار سياقها الذي ترد فيه.

وتقوم هذه النظرية على النظر إلى الوظيفة الأساسية للغة الطبيعية وهي التبليغ والتواصل، فهذه النظرية لا تميز بين البنية اللغوية بجميع مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية وبين الوظائف التبليغية التي تؤديها هذه المستويات الأربعة، فهي بعبارة أخرى تقوم بالتبليغ إلى

79- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 11.

80- مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص: 46.

81- في اللسانيات التداولية: مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص: 133.

جانب رصد خصائص العبارة البنيوية (الخصائص الصوتية والصرفية والمعجمية والتركيبية) وخصائصها التداولية ورصد العلاقات التي تربط بين هذه المجموعة من الخصائص وتلك[82]، فالنحو الوظيفي الذي يعد أهم رافد للدرس التداولي إلى جانب الفلسفة يشترك مع التداولية في اهتمامه بوصف الكفاءة التبليغية «Compétence communicative» للمتكلم والسامع وتفسيرها بالإضافة إلى وصف وتفسير الجوانب التداولية المرتبطة بوظيفة التبليغ التي تؤديها اللغة في تفاعلاتها مع المتخاطبين[83]، ومن هنا يتضح التداخل بين العلمين، فالوظيفة بمعناها العام تقابل مفهوم التداولية[84]، وهو ما ذهب إليه «**سيمون ديك**» حيث اقترح نظرية النحو الوظيفي التي تجمع بين مبادئها النحوية والمبادئ التداولية[85].

82- يحي (بعيطيش): نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، أطروحة دكتوراه دولة، إشراف: عبد الله بوخلخال، جامعة منتوري (قسنطينة)، 2005- 2006، ص: 80.

83- المرجع نفسه، ص: 81.

84- أحمد (المتوكل): الوظائف التداولية في اللغة العربية، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر (الدار البيضاء، المغرب)، ط.1، 1985، ص: 8.

85- المرجع نفسه، ص: 9.

4- التداولية وفلسفة اللغة العادية:

☜ مدخل عام:

لقد قدمت اقتراحات عديدة لتعريف التداولية لخصها «Levin son (1983)» في كتابه «Pragmatic»، ويفاد من هذه التعريفات عموماً أن التداولية علم يدرس اللغة في علاقتها بمنتجيها ومؤوليها ومقامات استعمالها، وإذا غضضنا الطرف عن استخدام المصطلح، فإن أعمالاً لغوية قديمة ذات قيمة يمكن أن تندرج في إطار التداولية بمعناها الواسع، نذكر من هذه الأعمال: أعمال النحاة والبلاغيين والأصوليين العرب القدامى، والتي تؤمن بأن فهم اللغة لا يمكن أن يتم بما فيه الكفاية إلا إذا روعي دورها في إقامة التواصل، وبما أن هناك تعالقاً بين العبارة اللغوية ووظيفتها، يمكن أن نميز داخل التداولية بالمعنى المذكور أعلاه بين اتجاه عام يحاول تطوير الأفكار الواردة في فلسفة اللغة العادية واستثمارها في تحليل النصوص والخطابات والحوارات، وبين اتجاه آخر يسعى إلى بناء أنحاء مؤسسة تداولياً لما تقتضيه النمذجة في إطار نظري منهجي محدد، تمثل اللسانيات الوظيفية الاتجاه الثاني وقد تعزز ظهورها ببناء عدة أنحاء وظيفية خاصة بعدما تبين قصور النحو التوليدي التحويلي عن معالجة عدد من الظواهر اللغوية معالجة كافية.

سنبين في الجزء الأول علاقة فلاسفة اللغة بالتداولية عموماً وسنخصص الجزء الثاني للحديث عن التداولية وبناء النماذج النحوية.

☜ فلسفة اللغة العادية:

تعنى فلسفة اللغة العادية بالبحث عن إجابات مقنعة عن مثل التساؤلات التالية: كيف ترتبط التساؤلات بالعالم؟ كيف نفسر أن المتكلم يعني شيئاً ما؟ ما الأصوات التي يرسلها؟ كيف يتمكن المتكلم من صياغة الأسئلة وإصدار الأوامر؟ ما الفرق بين أن يقول المتكلم شيئاً ويعني ما يقول وبين أن يقول شيئاً ويعني غيره؟ ما العلاقة بين ما أعنيه بقول شيء ما وبين ما يعنيه هذا الشيء إذا قاله لي غيري؟...

وبعبارة أخرى يبحث هذا الميدان في صفات اللغة العامة كالحقيقة والضرورة والإحالة والاقتضاء والاستلزام وغيرها مستمداً معطياته من جل اللغات الطبيعية. ويتقاسم فلاسفة اللغة العادية – على ما بينهم من اختلاف – الأفكار الأساسية التالية:

- للغة وظيفة أساسية هي التواصل.
- عدم الفصل في دراسة اللغة بين بنيتها ووظيفتها.
- تفسير معاني الجمل يقتضي اعتبار القواعد والموضوعات الاجتماعية إلى جانب مقاصد كل من المتكلم والمخاطب.

على هذا الأساس تعد فلسفة اللغة العادية معنية بدراسة مظاهر اللغة الدلالية والتداولية ممهدة بذلك الطريق إلى تعزيز الاتجاه التداولي في اللسانيات.

1-4- أوستين «Austin»:

لاحظ أوستين في بداية تحليله للجمل اللغوية (Austin 62) أن ج1 وج3 جملتان مميزتان عن ج2.

(1)- **السماء صافية.**

(2)- **أعدك أن نسافر معاً.**

(3)- **يعدك أخي أن تسافرا معاً.**

حيث تعد الجملتان (1) و(3) جملتين وصفيتين، وتعد الجملة (2) جملة إنجازية، وهذه الأخيرة حسب تعريف «Austin» هي التي يشكل مجرد النطق بها فعلاً لغوياً كفعل الوعد أو الوعيد، أو السؤال، أو الإخبار عنها، أو غيرها، والتي يستجيب فعلها لشرطين اثنين هما:

- أنْ يصاغ الفعل الإنجازي في الحاضر.
- أن يكون المتكلم هو فاعل الفعل لا غيره.

في اتجاه إقامة أفعال لغوية اعتبر «Austin» أن كل جملة من جمل اللغة تتضمن إنجاز ثلاثة أفعال فعل قول «Locutionary act» وفعل إنجاز «Illocutionary act» وفعل تأثير «Perlocutionary act» يتمثل الفعل الأول في تلفظ المتكلم بسلسلة من الأصوات وفق قواعد اللغة التي يتحدث بها ويتمثل الفعل الثاني في قيام المتكلم من خلال تلفظه إما بالإخبار أو بالسؤال أو بالوعد أو بالوعيد... ويتمثل الفعل الثالث في إحداث أثر في المخاطب من خلال الفعل الإنجازي، وبناء عليه تعد كل جملة من جمل اللغة جملة إنجازية.

2-4- سـورل «Searle»:

قام سورل «Searle (1969- 1975)» ببلورة أعمال أوستين بهدف تطوير نظرية الأفعال اللغوية حيث أضاف فعلاً رابعاً – إلى الأفعال الثلاثة التي قدمها أوستين – هو الفعل القضوي «Propositional act» يتفرع الفعل القضوي إلى فعل إحالي يتجلى في الإحالة على شخص أو شيء أو حدث، وفعل حملي يتجلى في حمل العبارة على ذات من الذوات فإنجاز الجملة الآتية:

(4)- **زيد مؤلف جيد:** فإنجاز هذه الجملة هو إنجاز لأربعة أفعال لغوية: فعل قول هو عبارة عن التلفظ بسلسلة من الأصوات بطريقة سليمة حسب ما هو محدد في هذه اللغة، وفعل قضوي يتمثل في الإحالة على الذات زيد وفي إسناد صفتي مؤلف وجيد إلى هذه الذات، وفعل إنجازي يتمثل في إخبار المخاطب بمضمون الجملة، وفعل تأثير تخلف الجملة بموجبه أثراً في المخاطب، إلا أن الفعل القضوي والفعل الإنجازي هما اللذان يختصان حسب سورل بتحديد دلالة الجملة، وبناء عليه يمكن التمثيل للجملة السابقة كالآتي:

(5)- **قو (قض):** حيث يشير الرمز (قو) إلى الفعل الإنجازي أو القوة الإنجازية ويشير الرمز (قض) إلى الفعل القضوي أو القضية.

وقد لاحظ سورل أن التعبير عن القوة الإنجازية قد يكون بفعل إنجازي ظاهر كما في المثال (2). أو بفعل إنجازي غير ظاهر كما في المثال (4). كما قد يكون بأداة أو بمجرد التنغيم كما في المثالين الآتيين:

(6)- **هل قرأت كتاب زيد؟**

(7)- **قرأت كتاب زيد؟**

ولاحظ سورل (1979) أن ثمة جملاً تتضمن أكثر من فعل لغوي واحد كما هو الشأن في الجملة الآتية:

(8)- **هل تسمح لي بالاطلاع على هذه الجريدة؟**

حيث تدل الأداة (هل) على الفعل اللغوي السؤال إلا أن المقصود في الجملة غير السؤال إذ لا ينتظر من المخاطب أن يضيف معلومة يجهلها المتكلم. على هذا الأساس يفهم المخاطب أن المتكلم لا يوجه إليه سؤالاً وإنما يلتمس منه اطلاعه على الجريدة. يشكل السؤال في هذه الجملة الفعل

اللغوي المباشر في حين يشكل الالتماس الفعل اللغوي غير المباشر ويتم الانتقال من الأول إلى الثاني عبر إجراء عدد من العمليات الاستدلالية وبهذا المعنى يميز سورل بين صنفين من الجمل: جمل ذات فعل لغوي واحد، وجمل يواكبها أكثر من فعل لغوي واحد.

(9)- قو (قض).

(10)- **قو1 قو2 (قض).**

ويميز داخل الجمل التي تطابق بنياتها البنية (10) بين فعل لغوي مباشر (قو1) وبين لغوي غير مباشر (قو2).

3-4- كرايس «Grice» (1979):

كان كرايس (1975) سباقاً لتناول ظاهرة تعدد الأفعال اللغوية « **Conversational Implicative**» تنتج ظاهرة الاستلزام الحواري في وضع سياقي تأخذ فيه الجملة معنى آخر غير معناها الحرفي.

لنتأمل الجملة الآتية:

(11)- **القطار على وشك الانطلاق.**

تتكون دلالة هذه الجملة من قوتها الإنجازية الحرفية الإخبار ومن مضمونها القضوي (القطار على وشك الانطلاق)، لنفترض أن هذه الجملة وردت في سياق الجملة (8)، المعادة هنا للتذكير: هل تسمح لي بالاطلاع على هذه الجريدة؟ في هذه الحالة ستصبح دلالة الجملة (11) مخالفة لدلالتها الحرفية، لرصد هذه الظاهرة اقترح كرايس مبدأ هو مبدأ التعاون «Coopération principale» افترض أنه يحكم كل حوار لغوي بين المتخاطبين، مضمون هذا المبدأ هو أن المتكلم والمخاطب مطالبان معاً بالتعاون لإنتاج حوار لغوي متماسك ومعقول، وبغياب هذا المبدأ لا يمكن الحصول على حوار من هذا القبيل:

(12)- **مبدأ التعاون:** «اجعل تدخلك مطابقاً لما يقتضيه الغرض من الحوار الذي تساهم فيه في المرحلة التي تتدخل فيها».

تندرج تحت هذا المبدأ قواعد الحوار الأربع الآتي:

(13)- **قاعدة الكم:**

أ- اجعل تدخلك حاملاً من الإفادة ما يقتضيه الغرض من الحوار.

ب- لا يكن تدخلك حاملاً من الإفادة أكثر مما يقتضيه الغرض من الحوار.

(14)- **قاعدة الكيف: «اجعل تدخلك صادقاً»:**

أ- لا تقل ما تعتقد أنه كاذب.

ب- لا تقل ما لا تستطيع البرهنة على صدقه.

(15)- **قاعدة الورود: «اجعل تدخلك وارداً».**

(16)- **قاعدة الحال: «ليكن تدخلك واضحاً».**

أ- ليكن تدخلك منجزاً.

ب- اجتنب الغموض.

ج- اجتنب الالتباس.

حينما يراعى مبدأ التعاون ويتم خرق إحدى القواعد قسراً تنتج ظاهرة الاستلزام الحواري على هذا الأساس يقوم مبدأ التعاون بين المتخاطبين في المثالين (8) و(11)، وتراعى قواعد الحوار ما عدا قاعدة الورود فخرق هذه القاعدة مع مراعاة مبدأ التعاون أنتج ظاهرة الاستلزام الحواري حيث أصبح معنى الجملة (11) يصدر رفض الالتماس ويتم استخلاص هذا المعنى في نظر «كرايس» عبر إجراء عمليات استدلالية تتغير من حوار إلى آخر.

خاتمـة:

على الرغم من أهمية الأعمال اللغوية التي أنجزها فلاسفة اللغة العادية إلا أنهم يصرون على عزلها عن ميدان اللسانيات وعلى إدراجها في إطار الفلسفة التحليلية التي استمدت روح أفكارها من أعمال: كارناب وموروو وراسل وفيتكنشتاين وتفسر مدرسة أوكسفورد هذا الموقف بالقول إن الهدف الذي حدده فلاسفة اللغة والمتمثل إجمالاً في تقويم القضايا الفلسفية من زاوية لغوية مخالف للهدف الذي حدده اللسانيون والمتمثل إجمالاً في دراسة اللغات ووصف بنياتها، هذا الموقف لن يحجم اللسانيين عن استثمار الأعمال المنجزة في إطار فلسفة اللغة العادية وتوظيفها في بناء نظريات ونماذج لغوية، خاصة منها ذات النزعة الوظيفية.

5- التداولية وبناء النماذج النحوية:

5-1- المبادئ المنهجية العامة:

تندرج الأنحاء الوظيفية عامة في إطار المسعى الرامي إلى إقامة نظرية تداولية شاملة، ويعد بناء كل نحو وظيفي على هذا الأساس إسهاماً في تحقيق هذا الهدف ومرحلة متقدمة من مراحل إنجاز البرنامج العلمي المسطر، ففي هذا التصور يعد الحديث بلغة ما صورة من صور السلوك الاجتماعي الذي تحكمه معايير ومواضعات ذات طابع اجتماعي ثقافي، فسلوك المتكلم يدل على أن لديه معرفة بالقواعد التركيبية والدلالية والصوتية التي تحكم لغته من جهة ومعرفة بالمعايير والمواضعات التي يخضع لها الاستعمال اللغوي داخل الحقل الاجتماعي من جهة أخرى، لذلك بعد إقامة نظرية لغوية تهتم ببنية اللغة وطرق استعمالها إسهاماً في بناء نظرية عامة في السلوك البشري.

5-2- مفهوم اللغة ووظيفتها:

تعد اللغة في هذا التصور أداة للتفاعل الاجتماعي وتتمثل وظيفتها الأولى في إقامة التواصل بين المخلوقات البشرية فهي كما يقول «**ديك**» (1979): ظاهرة تداولية أو أداة رمزية تستعمل لغايات تواصلية، وبخلاف ما يعتقده «**تشومسكي**» من أن اللغة مجموعة من الجمل يتوسل بها للتعبير عن الفكر في استقلال عن رقابة المثيرات أو تلبية الرغبات أو تحقيق بعض الأهداف، برهن «**ديك**» (1986) على أن الوظيفة الأولى للغة هي التواصل، مستنداً إلى تصور يقوم على اعتبار الإنتاجات الثقافية عموماً مجموعة من الحلول الممكنة تروم الإجابة عن إشكالات ثقافية عامة وتخضع هذه الحلول لمتطلبات وظيفية أساسية يمكن حصرها على الأقل في:

أ- الأهداف المراد إدراكها.

ب- الوسائل المستعملة لتحقيقها.

ج- الظروف التي يتم فيها إنجاز الأهداف.

واللغة باعتبارها إنتاجاً ثقافياً هي إجابة عن إشكال يتعلق بالطريقة التي تمكن المخلوقات البشرية من التواصل فيما بينها.

3-5- موضوع البحث التداولي:

يرتبط تحديد مفهوم اللغة مباشرة بميدان البحث اللساني، بما أن مفهوم اللغة في النظريات الوظيفية يتسع ليشمل دورها في التواصل فإن ميدان البحث اللساني أصبح يشمل القدرة النحوية والقدرات التي تتعالق معها والمتضمنة فيما عرف بالقدرة التداولية، يجد هذا الموقف سنداً لدى عدد من فلاسفة اللغة عرفوا بمنظري التواصل (سورل، كرايش، وشتراوسن وغيرهم) يجمعون على أن التواصل هو الوظيفة الأولى للغة وعلى عدم الفصل في دراستها بين البنية والوظيفة. على هذه القاعدة الفلسفية تقوم كل الأنحاء الوظيفية وتعمل بمقتضى مبدإ علم يعتبر البنية اللغوية انعكاساً للكيفية التي يتم بها استعمال الكلام في التفاعل الاجتماعي. ويعتقد «**ديك**» أن فهم بنية اللغة فهماً عميقاً يرتبط بمختلف الأهداف التداولية التي تستعمل من أجلها، وأن موضوع اللسانيات الوظيفية هو قدرة المتكلم التواصلية.

بناء عليه، فإن دراسة النسق اللغوي ينبغي أن تتم داخل إطار الاستعمال اللغوي مع الإقرار بتمايز النسق عن الاستعمال بذلك يتجنب الوظيفيون دراسة النسق اللغوي بمعزل عن استعمالاته «فتجريد اللغة عن أهدافها يفقدها في رأي ديك أكثر خصائصها جوهرية».

4-5- مهام اللساني:

تكمن مهام اللساني في بناء نسقين من القواعد كلاهما يكتسي طبيعة اجتماعية:

أ- نسق القواعد التداولية: القواعد التي تحكم التفاعل الكلامي باعتباره نشاطاً تعاونياً مبنيناً (يخضع لنظام بنيوي).

ب- نسق القواعد الدلالية والتركيبية والصوتية: القواعد التي تحكم العبارات اللغوية المستعملة بصفتها أدوات لذلك النشاط. كما أن اللساني مطالب بتفسير الظواهر اللغوية وظيفيا وذلك بالنظر إلى الطرق التي تستعمل بها العبارات اللغوية وأهداف تلك الاستعمالات. كما عليه أن يكتشف نسق النحو الكلي الذي يتضمن نمطين من الكليات كليات صورية (بنيوية) وكليات وظيفية (تداولية).

ويشترط في أنحاء اللغات الخاصة أن توافق المبادئ والتعميمات الوظيفية التي يقرها النحو الكلي بصفته نظرية تستهدف تحديد النسق اللغوي التواصلي الممكن.

كما أن اللساني مطالب بتفسير ظاهرة الاكتساب اللغوي حيث يفترض الوظيفيون في هذا الصدد أن الطفل يكتشف نسق القواعد التي تحكم اللغة كما يكتشف نسق القواعد التي تحكم استعمالها مدعماً بالمعطيات اللغوية التي يصادفها في مقامات اجتماعية متعددة.

5-5- خصائص الأنحاء الوظيفية:

وفاء للمبادئ المنهجية العامة تقوم كل الأنحاء الوظيفية على اعتبار التداول إطاراً شاملاً يدرس داخله كل من التركيب والدلالة إذ إن وجود التركيب والدلالة مرتبط بتمكين المتكلمين من التعبير بمختلف الأساليب وأحذقها عن أكثر المعاني تعقيداً لتحقيق التواصل فيما بينهم.

وتتميز الأنحاء الوظيفية بتمثيل المعلومات التداولية بصورة سابقة عن التمثيل للمعلومات التركيبية على هذا الأساس يعد نحواً وظيفياً كل نحو يعطي الأولوية للتداول على التركيب.

6- النحو الوظيفي:

بنيات النحو الوظيفي: تعريف عام:

6-1- البنية الحملية:

تتكون البنية الحملية من محمول ومجموعة من الحدود، المحمول المقصود به ليس الفعل فقط، فقد يكون فعلاً مثل: «**نشر زيد مقالة**» فـ(نشر) محمول و(زيد مقالة) حدود. أو اسماً مثل: «**زيدٌ ناشر مقالة**» فـ(ناشر) هنا محمول اسمي (اسم فاعل) و(زيد)، (مقالة) حدود. أو صفة مثل: «**زيد فرح**» فـ(فرح) محمول صفة، و(زيد) حد يواكب المحمول (فرح). والحدود المقصود بها المركبات التي تواكب المحمول لبناء الجملة وهي نوعان: حدود موضوعات وحدود لواحق.

وتعنى البنية الحملية بالتمثيل للخصائص المنطقية والدلالية للجمل وتتمثل هذه الخصائص في التمثيل للمحمول ولمخصصاته التي يرمز إليها بـ(Ω)، وفي التمثيل للحدود ولمخصصاتها ويرمز لها بـ(O) بالإضافة إلى الوظائف الدلالية لكل حد من حدود الجملة ويرمز إلى هذه الوظائف بـ(α):

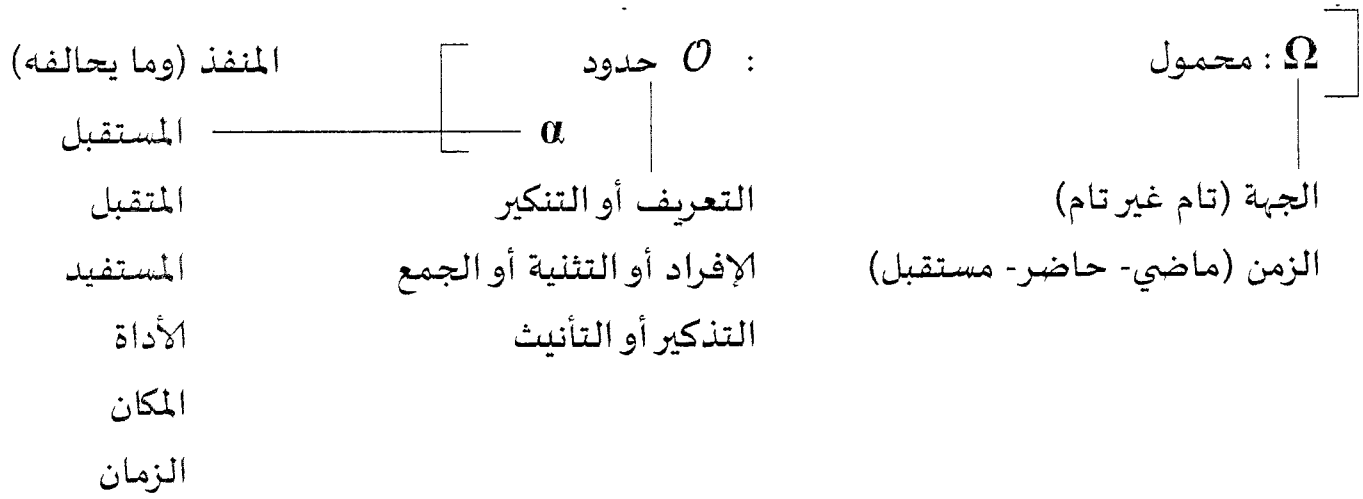

* **الجهة:** وهي الزمن الداخلي للواقعة. هل الحادثة تم وقوعها أم لم يتم، وذلك بمعزل عن الزمن. مثلاً: «**كان زيد يحفظ شعراً كل يوم**» الزمن هو الماضي والجهة: غير تام لأن الفعل ما يزال مستمراً.

* **الوظائف الدلالية:** مرتبطة بالواقع. كل حادثة ما تبنيها ذوات معينة. فمثلاً: «**كتب زيد مقالة**» فـ(زيد) هو الذات المنفذة و(مقالة) تأخذ دور المتقبل لحدث الواقع، كذلك في قولنا: «**أهدى زيدٌ عمراً كتاباً**»، فزيد منفذ و«عمراً» مستقبل و«كتاباً» متقبل.

* **الأداة:** أداة تنفيذ الواقع، مثلاً: «**كسّر زيدٌ الزجاج بالحجر**» فـ(الحجر) هنا الأداة التي نفذ بها زيد الكسر.

* **المكان:** مثلاً: «**سافر زيد إلى الرشيدية**» فـ(الرشيدية) هنا مكان.

* **الزمان:** مثلاً: «**سافر زيد ليلاً**» فـ(ليلاً) هنا زمان.

تلك كانت المعلومات التي يمثل لها في البنية الحملية.

تطبيقـــات:

هجـــم الجيش على المتظاهرين بالدبابات في الصين السنة الماضية

محمول — حدود

+ مخصص الجملة:

مخصص الجهة مخصص الزمان جذر الفعل صيغة صرفية هل المحمول فعل أو اسم أو صفة.

[تـا] [مض] هـ.ج.م {فَعَل} ف

(س^{1}: جيش(س^{1}))منف (س^{2}: متظاهرين(س^{2}))متق (ص^{1}: دبابات(ص^{1}))أد

(ص^{2}: الصين(ص^{2}))مك (ص^{3}: سنة ماضية(ص^{3}))زم

+ التمثيل لمخصصات الحدود:

(ع ذ ج س^{1}: جيش(س^{1})منف (ع ذ ج س^{2}: متظاهرين(س^{2}))متق

+ فك الرموز:

تا: تام. مض: ماضي. ف: فعل. س^{1}، س^{2}، س^{3} ...: الحدود

الموضوعات: ص^{1}، ص^{2}، ص^{3} ... الحدود اللواحق. منف: منفذ. متق: متقبل.

أد: أداة. مك: مكان. زم: زمان.

2-6- <u>البنية الوظيفية</u>:

تمثل فيها الوظائف التركيبية والوظائف التداولية، وتمثل فيها مخصص الحمل أي القوة الإنجازية، وهي تكون: إما إخباراً أو سؤالاً أو وعداً أو إنذاراً أو توبيخاً أو استهزاءاً...

فمثلاً في الجملة السابقة: «**هجم الجيش على المتظاهرين بالدبابات في الصين السنة الماضية**»، قوتها الإنجازية هي الإخبار، ويرمز له بـ (خب) في التمثيل كما يلي:

[خب [تا مض هـ.ج.م [فَعَل]ف

والقوة الإنجازية في هذه الجملة: **هل هجم الجيش...** هي السؤال ويرمز له بـ (سؤ) في التمثيل التالي: [سُؤ [تا مض هـ.ج.م [فَعَل]ف

والوظائف التركيبية المقصود بها الفاعل والمفعول لكن ليس كما وردت في مفهوم النحو العربي القديم فإذا كان الفاعل في النحو العربي القديم متعدد الأشكال فهناك الفاعل النحوي التركيبي وهناك الفاعل المنطقي أو الدلالي وهو الفاعل الذي يقوم بالفعل دلالياً، فإن - الفاعل- في النحو الوظيفي وظيفته التركيبية تسند في مستوى البنية التحتية إلى الحد الذي يشكل المنظور الأساسي للواقعة التي يعينها المحمول. فالمنظور الاساسي الذي تقدم به الواقعة هو الذي تسند إليه الوظيفة التركيبية الفاعل والمنظور الثانوي الذي تقدم به الواقع هو الذي تسند إليه الوظيفة التركيبية المفعول.

تطبيقـات:

* **زيد فرح بفوزه.** فـ(زيد) فاعل لأن الواقعة مقدمة من منظور زيد. و(بفوزه) مفعول.

* **سافر زيد إلى الرباط.** (زيد) فاعل. (إلى الرباط) مفعول (المنظور الثانوي الذي قدمت من خلاله الواقعة).

* **أحمد شاعر جيد.** (أحمد) له وظيفة دلالية: حائل (الحائل يعني له حال)، وله وظيفة تركيبية: فاعل (شاعر) محمول لا وظائف له. فالوظائف تعطى للحدود دون المحمول. (جيد) مفعول (منظور ثانوي) لأنه حد مستقل لأنه يرافق محمولاً (شاعر).

6-2-1- الوظائف التركيبية:

الفاعل تسند إلى الحد الذي يشكل المنظور الأساسي للواقعة، المفعول تسند إلى الحد الذي يشكل المنظور الثانوي للواقعة.

6-2-2- الوظائف التداولية:

تتحدد في أربعة وظائف: وظيفتان داخليتان (داخل الحمل) ووظيفتان خارجيتان (خارج الحمل).

6-2-3- المنفذ (وما يحاقله) الذي ورد في الوظائف الدلالية للحدود:

أما المنفذ فسبق توضيحه، وأما ما يحاقل المنفذ فهو ما وقع في حقل المنفذ ولهذه المركبات التي تقع في حقل المنفذ وظائف أخرى منها:

* **القوة:** كما في مثال: «**فتحت الريح الباب**»، فالريح ليست هنا منفذاً ولكنها وقفت فقط في حقله، وهي قوة وليست منفذاً لأنها ذات غير مراقبة. ومنها أيضاً،

* **التموضع:** كما في المثال: «**جلس زيد**»، فـ(زيد) هنا ليس منفذاً ولكنه متموضع. تموضع في المكان.

6-2-4- تحديد الحمل:

الحمل هو المحمول والحدود وهذه الأخيرة إما موضوعات وهي الحدود التي يستلزمها المحمول استلزاماً في بناء الواقعة، وإما لواحق وهي الحدود التي يمكن الاستغناء عنها في بناء الواقعة (حدود إضافية) والمثال الذي تكون فيه الحدود موضوعات: «**كتب زيد رسالة**»، أما المثال الذي تكون فيه

الحدود لواحق فهو: «**أكل زيد تفاحة**» يمكن القول «**أكل زيد**» ونسكت جواباً على سؤال: هل أكل زيد؟

«**أعطى**» قد يكون له محمول واحد كما في قوله تعالى: ﴿**فأما من أعطى**﴾ المحمول هو «من».

ويمكن التمثيل لكل ما سبق بالشكل التالي:

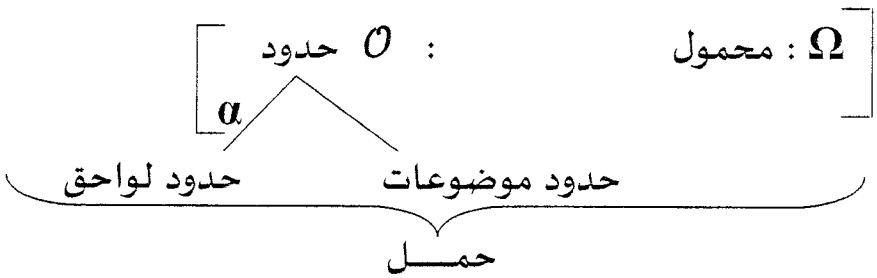

6-2-5- <u>كيفية تمثيل المحمول في المعجم:</u>

يمثل المحمول في المعجم بـ :

صورته (جذره ووزنه الصرفي) الجذر.

مقولته ⬅ الوزن الصرفي.

عدد محلاته ⬅ محمولات كمية ومحمولات نوعية.

وظائفه ⬅ الأدوار الدلالية.

قيوده ⬅ قيود الانتقاء.

فلكل محمول بنية داخلية تتضمن عدداً من المحلات (أمكنة فارغة) هذه المحلات تملأها الحدود لبناء الجملة بشروط معينة تسمى القيود الانتقائية التي يفرضها المحمول على محلات حدوده مثال: المحمول **كتب** جذره ك. ت. ب صيغته فَعَل مقولته الصرفية فعل والمحلات هنا محلين اثنين: 1 محل الكاتب 2 ومحل المكتوب. يفرض المحمول القيود الانتقائية على المحلات: فالمحل (1) يجب أن يملأه حد من سماته [+إنسان] والمحل (2) يجب أن يملأه حد من سماته [+مكتوب]. والمحلان (1) و(2) تملأها حدود موضوعات وما جاء وراءها (خارج) (بنية الفعل) حدود لواحق (لا يفرض الحمل عليها قيوده). إن الحمل هو ما تشكل من محمول وحدود هذه الحدود إذا وقعت

داخل الحمل تسمى حدوداً داخلية وتسند إليها وظائف تداولية داخلية أيضاً. وإذا وقعت خارج الحمل سميت خارجية وتسند إليها وظائف تداولية خارجية.

والبنية الحملية تصبح دخلاً للبنية الوظيفية عن طريق التمثيل

الوظائف التداولية: تتحدد كما سبقت الإشارة في أربعة وظائف: وظيفتان خارجيتان، ووظيفتان داخليتان، والأولى نسبة إلى خارج الحمل والثانية نسبة إلى داخل الحمل. فالحمل ما تكون من محمول وحدود موضوعات ولواحق. أما الجملة فهي ما تجاوزت كل ذلك بتضمنها حدوداً أخرى تسند إليها وظائف تداولية خارجية وهي: المبتدأ «**Thème**» والذيل «**Tail**» فهما وظيفتان تداوليتان خارجيتان عن الحمل لأنهما لا تخضعان إلى القيود التي يفرضها الحمل على حدوده. فالحدود التي تحدد مجال الخطاب تسند إليها الوظيفة التداولية المبتدأ وتسند الوظيفة التداولية ذيل إلى الحد الذي يعدل أو يصحح معلومة وردت داخل الحمل. ومثال الوظيفة الأولى:

فـــاس، [زرت معالمها التاريخية]

حد يعد مكونا يقع حمل

خارج الحمل (مبتدأ)

ومثال الثانية:

قرأت الكتاب، بل معظمه.

تسند إليها الوظيفة التداولية (ذيل) لأنها تعدل المعلومة الواردة في الحمل.

والذيل قد يأتي للتوكيد أو التعديل أو التصحيح... الخ.

ويمكن صورنة المواقع التي تظهر فيها الوظيفتان التداوليتان الخارجيتان في الجملة كالآتي:

مبتدأ، [محمول موضوع 1... موضوع2... لواحق]، ذيل.

وأما الوظيفتان التداوليتان الداخليتان فهما: «المحور» «**Topic**» وتسند إلى الحد الذي يشكل معلومة مشتركة بين المتكلم والمخاطب والمعلومة هي ما يشكل محط الحديث بينهما، والثانية هي: «البؤرة» «**Focus**» وتسند إلى الحد الذي يحمل معلومة جديدة بالنسبة إلى المخاطب. وأمثلة ذلك ما يلي: -أين سافر زيد؟ - سافر زيد إلى العاصمة. فزيد محور، والعاصمة بؤرة (بؤرة جديد) ذلك أن البؤرة تنقسم إلى بؤرتين: إما بؤرة جديد كما هو الحال هنا (المثال السابق) وإما بؤرة

مقابلة: وهي وظيفة تسند إلى الحد حينما يأتي ليقابل حداً آخر. ومثالها: ما زيداً قابلت، بل هنداً. فعبارة (بل هنداً) بؤرة مقابلة في الجواب على سؤال هل قابلت زيداً أم هنداً؟ - قابلت زيداً الشاعر. (زيدا الشاعر) محور، ولكن عندما نقول: قابلت زيداً، الشاعر. فالشاعر هنا (ذيل) شريطة أن تكون هناك لحظة صمت وهي التي رمزنا إليها في المثال ب(،).

وهكذا، تعد أيضاً البنية الوظيفية التامة، دخلاً للحصول على بنية مكونية.

3-6- البنية المكونية:

دورها أن تعبر بالوسائل الصرفية والتركيبية والتنغيمية التي تعرفها اللغة العربية عن المعلومات الدلالية والتداولية الممثل لها في مستوى البنية الحملية والوظيفية. وتجدر الإشارة إلى أن البنية الحملية والوظيفية معاً يشكلان ما يسمى بالبنية التحتية أما البنية المكونية فهي بنية سطحية.

+ اللغة انعكاس للمعلومات الدلالية والتداولية.

وكخلاصة:

- النحو الوظيفي يتكون من ثلاث بنيات تضطلع ثلاثة أنساق من القواعد لبنائها.
- هناك ثلاثة أنماط من الوظائف: التركيبية، التداولية والدلالية.
- وهناك ثلاثة مخصصات: مخصصات الحمل، مخصصات الحدود، ومخصصات المحمولات.
- دور الوظائف التداولية: تحديد الوضع التخابري للمكونات والعلاقات القائمة بينها في الجملة.
- المعلومات المشتركة بين المتكلم والمخاطب تسند إليها وظيفة تداولية [محور] والمعلومات الجديدة تسند إليها وظيفة تداولية [بؤرة].
- كل المعلومات الممثل لها في مستوى البنية الوظيفية تؤدي دوراً تداولياً.
- كل المعلومات الممثل لها في مستوى البنية الحملية تؤدي معظمها دوراً دلالياً.

ويمكن التمثيل لبنيات النحو الوظيفي وقواعده وعملياته كما يلي:

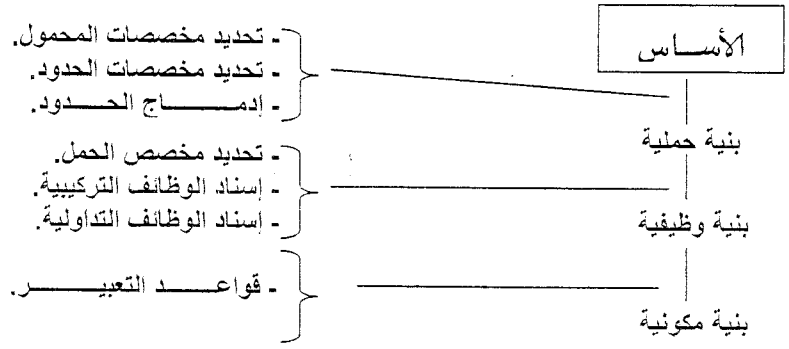

تطبيقات:

الأساس: مثلاً جملة: «**حضر المتفرجون الحفلَ**».

[حب[تا[مض ح.ض.ر[فَعَل]ف (ع ذ ج س^1: متفرج(س^1))منف.فا.مع (ع ذ1 س^2:حفل(س^2))

Φ حَضَرَ المتفرجون 1م

(ع ذ1 س^2: حفل(س^2))متق.مف.بؤ.جد]]

الحفل م^2

الأســـــاس	
معجـــم	قواعد تكوين
مفردات أصول	مفردات مشتقة

قواعد تكوين

- الأساس منه تنطلق عملية بناء الجملة.

- المعجم مخزون المفردات التي يتكلمها متكلم فطري بلغته والمقصود بالمعجم هنا المعجم الذهني لا المعجم الصناعي المحدود لأنه لا يمثل النسقية للمفردات التي يتكلمها إنسان ما بخلاف المعجم الذهني.

- قواعد التكوين (أو الإنتاج) تتفرع إلى قواعد تكوين المحمولات، مثلاً: الانتقال من: نفذ ⬅ استنفذ. وقواعد تكوين الحدود مثلاً: تطبيق قاعدة تحويل من: دخل زيد داره ⬅ إلى: أدخل علي زيداً داراً. وكذا: الانتقال من: استنفذ ⬅ إلى استنفاذ ومن نفد إلى نفاذ.

+ المعجم يتكون من مفردات أصول وقواعد التكوين هي التي بها نحصل على المفردات المشتقة. المفردات: المحمولات أو الحدود. أصولاً كانت أو مشتقة.

+ وكيفية تمثيل المفردات في المعجم الذهني (غير الصناعي) كما سبقت الإشارة إلى ذلك هي كما يلي:

لكل محمول إطار حملي يتضمن:

- ✓ صورة المحمول (جذره ووزنه الصرفي).
- ✓ مقولته (فعل أو اسم أو صفة).
- ✓ عدد محلات موضوعاته (س1... سن).
- ✓ قيود الانتقاء التي يفرضها المحمول على محلات موضوعاته: (+ إنسان، + حي... الخ)
- ✓ الوظائف الدلالية التي يسندها المحمول إلى محلات موضوعاته (منف، متق، مستق، أد، مك، زم...).

مثال المحمول: «**كتب**».

[ك.ت.ب فَعَلَ]ف

صورة المحمول مقولته

(س^1:(+إنسان)(س^1))منف (س^2:(+مكتوب)(س^2)متق]

عدد المحلات(2) الوظائف الدلالية

ما يتعلق بالقيود: + كل محمول يتضمن بطريقة تلقائية الجملة التي يستطيع بناءها. [كتب] تتضمن كل المعلومات الكافية لبناء الجملة (أو الحمل).

+ كل المعلومات في المعجم مصوغة على شكل أطر حملية.

وهناك نظرية فرعية: بها يتأتى لنا إسناد الوظائف الدلالية بعبارة أخرى ملء المواقع. ويقترحها «**ديك**» «Dick» على الشكل الآتي:

وقائـــع

	المراقبـــة	**الحركـــة**	
عمـــل	+	+	**منفذ**
حـــدث	-	+	**قوة**
وضـــع	+	-	**متموضع**
حالـــة	-	-	**حائل**

State of affairs

«**سافر زيد**». عملية السفر: واقعة عمل تتطلب مراقبة الذات المسافرة والحركة. حدها الأول تسند إليه وظيفة [منفذ] وكذلك «**كتب زيدٌ رسالةً**».

«**هبتِ الريحُ**» هناك حركة وغياب المراقبة (الريح لا تراقب ذاتها).

«**قبع زيد في داره**»: هناك مراقبة زيد لقبوعه ولا حركة.

«**حزنَ زيدٌ**»: غياب المراقبة (زيد لا يراقب حزنه) وغياب الحركة.

سلمية الوظائف الدلالية:

إن الوظائف الدلالية تحدد الأدوار التي تقوم بها الذوات، وكيفية إسناد الوظائف الدلالية للحدود. ويفترض «**ديك**» «Dick» أن تتبع هذه الوظائف السلمية التالية:

منفذ > متقبل > مستقبل > مستفيد > أداة > مكان > زمان.

وهذه السلمية لتتوافق مع نسق اللغة العربية يجب إعادة ترتيبها كما يلي:

منفذ > مستقبل > متقبل > مستفيد > أداة > مكان > زمان. مثال: «**أهدى زيد هنداً كتاباً**»:

زيد (منفذ) وهنداً (مستقبل) وكتاباً (متقبل)، أما في النسق الإنجليزي:

«John gave a boock to Mary»

مستقبل (مستفيد) متقبل

<+إنسان> لا بد أن تسبق الشيء الذي يحمل <- إنسان>

{منفذ، قوة، متموضع، حائل} > متقبل > مستقبل > مستفيد > أداة > مكان > زمان.

{منفذ، قوة، متموضع، حائل} > مستقبل > متقبل > مستفيد > أداة > مكان > زمان.

تطبيقات:

+ **أهديت هنداً كتاباً:** جملة تبتدأ بمستقبل (هند مستقب/ كتاباً متقبل).

+ **أعطي كتاب زيداً:** جملة تبتدأ بمتقبل (كتاب متقبل/ زيداً مستقبل).

+ **صيام يوم الخميس:** جملة تبتدأ بزمان (يوم الخميس زمان).

+ **صلي في المسجد:** جملة تبتدأ بمكان (في المسجد) مكان.

+ **(كتب زيد رسالة)** هذا الترتيب ترتيب جزئي في البنية الحملية (السطحية)

منف متق

إنه ترتيب غير نهائي، فالذي يحدد الترتيب هو إسناد الوظائف التركيبية والدلالية. قد نحصل في البنية المكونية (التحتية) جملاً مثل: رسالة كتب زيد.

الوظائف الدلالية تسند في البنية الوظيفية، وهذه الوظائف تنتمي إلى ما يسمى بالنحو الكلي «Universal Grammar».

سلمية إسناد الوظائف التركيبية:

وضع «ديك» «Dick» سلمية لإسناد الوظائف التركيبية: فاعل، ومفعول.

الوظيفة التركيبية الفاعل: تسند إلى الحد الذي يحمل وظيفة منفذ إن لم يكن، تسند إلى المستقبل إن لم يكن تسند إلى المتقبل وهكذا دواليك... الخ. مثال: **1- أهدى زيد هنداً كتاباً**.(زيد: منفذ فاعل). 2- **صيم شهر رمضان.** (شهر رمضان زمان فاعل) والشيء نفسه بالنسبة للوظيفة التركيبية: المفعول:

	منفذ > مستقبل > متقبل > مستفيد > أداة > مكان > زمان						
فـــا	+	+	+	+	+	+	+
مـف	-	+	+	+	+	+	+

المنفذ لا يمكن أن يرد إطلاقاً مفعولاً. زيد فرحٌ بنجاحه. (زيد) – مراقبة حركة فهو حائل، فرح (محمول) والمحمول لا تسند إليه وظيفة دلالية ولا تركيبية ولا تداولية. (بنجاحه) وظيفة دلالية عِلَّة.

إن سلمية الوظائف الدلالية لها علاقة بإسناد الوظائف التركيبية الفاعل/ المفعول أي أن إسناد الوظائف التركيبية مرتبط بالوظائف الدلالية. فالفاعل أو المفعول كلاهما، يمكن إسنادهما إلى بعض الحدود التي تحمل وظيفة دلالية معينة ويمنع إسنادهما إلى بعض الحدود التي تحمل وظيفة دلالية معينة. ففي الإنجليزية مثلاً نجد جملاً كالتالية:

- John gave the book to Mary.
  منفذ متقبل مستقبل

- The book was given to Mary by John.
  متقبل مستقبل منفذ

- Mary was given the book by John.
  مستقبل متقبل منفذ

- يمكن إسناد الوظيفة التركيبية الفاعل إلى الحدود التي تحمل الوظائف الدلالية: المنفذ، المتقبل، المستقبل في النسق الإنجليزي.

ونجد في العربية جملاً من أمثال:

؟؟؟- **منح الكتاب لزيد من قبل عمرو.**
؟؟؟- **منح عمرو الكتاب من قبل زيد.**

} هذه الجمل توجد في درجة أقل من المقبولية ويرمز لها بـ(؟؟؟).

ومعيار تحديد المقبولية هو نسبة للجمل التي تحترم سلمية الوظائف الدلالية.

- يمتنع إسناد الوظيفة التركيبية الفاعل إلى الحدود التي تحمل الوظائف الدلالية الأداة، المكان، الزمان هذا في نسق اللغة الإنجليزية معناه لا يمكن تقديم الواقعة من منظور الأداة أو المكان أو الزمان. مثال:

* **This kinife was cut the meat with by john.**

⬅ الحدود الوجهية هي التي تقبل أن تقدم منها وجهة الواقع التي يمكن إسناد الوظيفة التركيبية الفاعل إليها.

⬅ الحدود غير الوجهية: هي الحدود التي لا تقبل ذلك.

أما في نسق اللغة العربية، فيمكن أن تسند الوظيفة التركيبية الفاعل إلى الحدود التي تحمل الوظائف الدلالية: المنفذ، نحو: **عاد خالدٌ**، المستقبل، نحو: **أعطي خالد قلماً**، المتقبل، نحو: **كتبت الرسالةُ**، المكان، نحو: **صُلّي في المسجد**، الزمان، نحو: **صِيمَ يوم الخميس**، الحدث، نحو: **سير سيرٌ**، حيث (سير= حدث).

✖ **الوظيفة التركيبية المفعول:** لا يمكن أن تسند إلى الحد الذي يحمل الوظيفة الدلالية المنفذ.

- الحدود الوجهية في اللغة العربية هي: المنفذ، المستقبل، المتقبل، المكان، الزمان، الحدث. وفي اللغة الإنجليزية هي: المنفذ، المستقبل، المتقبل، وهذا بالنسبة للفاعل [+إنسان]، وبالنسبة للمفعول فهي: المستقبل والمتقبل.

يمكن في العربية أن نقدم الواقعة من الحدود التي تحمل السمة [- إنسان].

- سلمية إسناد الوظيفة التركيبية الفاعل في العربية:

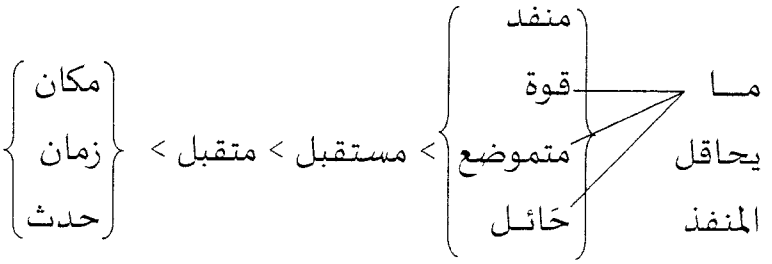

- **أعطيت خالداً باقة ورد.** (حالة المفعول المستقبل).

- ويكون المستقبل مفعولاً نحو: **قابلتُ هنداً**. ويكون المكان مفعولاً نحو: **سَار القومُ فرحين.** ويكون الزمان مفعولاً نحو: **صام عمرو يوم الاثنين**، ويكون الحدث مفعولاً نحو: **سرت سيراً حثيثاً.**

+ اختلاف اللغات الإنسانية في إسناد الوظيفة التركيبية الفاعل والوظيفة التركيبية المفعول:

* تعد اللغة العربية أعلى لغة تتوفر على إمكانات تعبيرية لا تتوفر عليها اللغات الأخرى: فمثلاً تسند الوظيفة التركيبية الفاعل في اللغة العربية إلى الحدود التي تحمل الوظائف الدلالية المنفذ، المتقبل، المستقبل، المكان، الزمان والحدث، أما في اللغة الهولندية فتسند فقط إلى المنفذ والمتقبل، أما اللغة الإنجليزية واللغة اليابانية فتسند إلى المنفذ والمتقبل والمستقبل، في حين لا تحتاج اللغة الألمانية إلى إسناد الوظيفيتين التركيبيتين الفاعل/ المفعول بالاستغناء عنهما بشكل مطلق.

* بعض الروائز التي تدل على وجود الوظائف التركيبية الفاعل والمفعول في لغة ما من اللغات: سنكتفي باعتماد رائز مهم وهو إمكانية الانتقال من البناء للمعلوم إلى البناء للمجهول.

× **إسناد الوظائف التداولية:**

1- الوظيفتان الداخليتان:

+ **البؤرة:** وهي إما بؤرة جديد (بؤ.جد) ومثال ذلك: **قضيت عطلتي في مراكش.** جواباً على (أين قضيت عطلتك؟) فـ (في مراكش) بؤ.جد. إذ لا يمكن استعمال رائز التعقيب أي الشك في عدد من المعلومات الواردة. عكس ما نجده في بؤرة مقابلة، فإذا أمكن استعمال رائز التعقيب في جملة ما تبين أن الأمر يتعلق ببؤرة مقابلة، وإذا لم يمكن فالأمر يتعلق ببؤرة جديد. ومثال ذلك: «أ **معطفاً اشترى خالد؟**» فنجيب: حذاء اشترى خالد، لا معطفاً (إمكانية التعقيب) والملاحظ أن أداة الاستفهام في كل الجمل الاستفهامية تبأر.

+ **المحور:** إسناد هذه الوظيفة التداولية مرتبط سلمية إسناد الوظيفة التركيبية الفاعل، تسند الوظيفة التداولية المحور إلى الحد الذي يحمل الوظيفة التركيبية الفاعل، إن لم يُوجد فإلى الحد الذي يحمل الوظيفة التركيبية المفعول (أي الحد الذي يلي الفاعل)، بعبارة أخرى: تسند الوظيفة التداولية المحور إلى الحد الذي يحمل معلومة مشتركة بين المتكلم والمخاطب هذه المعلومات المشتركة في خطاباتنا اليومية لا تخرج عن:

[معلومات قديمة، معلومات جديدة].

(فاعل، محور) (بؤرة)

المفعول إن لم يرد الفاعل يدرج في المعلومات القديمة وإن وجد الفاعل ينتقل إلى المعلومات الجديدة.

2- <u>الوظيفتان الخارجيتان:</u>

+ **المبتدأ:** تسند إلى الحد الذي يقع خارج الحمل: خارجيته مشروطة:

أ- بأن يكون المبتدأ مربوطاً بالحمل برابط دلالي معنوي ما. فعندما نقول: **زيدٌ، سافرت هند.** هذه الجملة لاحنة تداولياً لأن الحد (المبتدأ) (زيدٌ) لا تربطه بالحمل أية رابطة دلالية. ومثال المبتدأ المربوط برابط دلالي بالحمل: قولنا زيدٌ سافرت أخته هند.

- As for <u>the students</u>, Adolescents al most never have any sense.

ب- وبأن يكون المبتدأ عبارة محيلة أي عبارة تحيل على شخص معروف أو شيء معروف أو ذات معروفة. أما إذا كانت مجهولة فتصبح لاحنة مثال: **رجلٌ، صاحبَ زيداً إلى المسرح**، فهذه الجملة لاحنة تداولياً بشرط أن تسند إلى (رجلٌ) الوظيفة التداولية (مبتدأ) فرجل عبارة غير محيلة (مجهولة)، وقيد أو شرط الإحالية هذا يخضع لها الذيل أيضاً (فهو الآخر يجب أن يكون عبارة محيلة).فعندما نقول: **[رجلٌ صاحبَ زيداً إلى المسرح]** فهذه الجملة صحيحة تداولياً ولكن لا يمكن أن نسند إلى عبارة(رجل) الوظيفة التداولية (مبتدأ).

+ **الذيل:** يشترط فيه أن يكون عبارة محيلة وبأن يرتبط بالحال ويخالف المبتدأ في أمور وهي أن: زيداً إذا كان يوضح الضمير في الحد الذي يأتي الذيل لتوضيحه أو تصحيحه أو تعديله فيأخذ الذيل بذلك الوظيفة التركيبية التي يحملها الحد الذي يأتي لتوضيحه أو تصحيحه أو تعديله أي

يرث الوظيفة الدلالية والوظيفة التركيبية للحد الذي يأتي إما لتوضيحه أو تصحيحه، فإن المبتدأ لا تسند إليه – هو – لا وظيفة دلالية ولا وظيفة تركيبية.

- **هندٌ، قابلت أخاها، زيداً.**

(مبتدأ) حمل ذيل توضيح يوضح به المتكلم معلومة وردت داخل الحمل (أخاها).

+ **الفرق بين التصحيح والتعديل:** الأول يقوم معلومة خاطئة ثم تصححها، أما الثاني فتقدم معلومة ليست بالضرورة خاطئة ثم تعدلها + قرأت الكتاب، نصفه ← ذيل تعديل.

+ قابلت اليوم زيداً، بل خالداً ← ذيل تصحيح.

أما الذين خانوا الوطن، فتقلدوا المناصب المرموقة.

مبتـــدأ حمـــــل

+ تطبيق:

حدد البنية التحتية للجملة الآتية في إطار النحو الوظيفي عن طريق بناء البنية الحملية والبنية الوظيفية:

- **يسافر الطلاب إلى العاصمة غداً**، السياق: متى يسافر الطلاب إلى العاصمة؟

[خب[غ تا[مضا س.ف.ر{فَاعَل}ف (ع ج ذ س^1:طالب(س^1))متف.فا.مع

س.ف.ر{فَاعَل}ف(س^1 <إنسان>(س^1))متق(س^2<مكان>(س^2))مك

(ع1ث س^2:عاصمة(س^2))مك.مف(ن1ذ.ص^1: غد(ص^1))زم بؤ.جد]]]

بالنسبة للمعلقات (حروف الجر مثلاً) لا تدمج إلا في مستوى البنية السطحية (البنية المكونية)، والمعلقات هي التي تعلق كلمة بكلمة أخرى أو جملة بجملة أخرى، المستقبل لا يكون إلا <إنسان>.

في إطار البنية الحملية:

- إسناد الوظائف الدلالية تحديد مخصص المحمول...

في إطار البنية الوظيفية:

- إسناد الوظائف التركيبية، التداولية، تحديد مؤشر القوة الإنجازية للحمل.

- سياق: **هل يسافر الطلاب إلى العاصمة غداً؟**

الجديد في البنية التحتية هو أن بؤ.جد تحذف من حد (وغد) وتوضع للحمل كله خارج المعقوفات على هذا النحو: [[.....]] بؤ.جد.

- سياق: **أين يسافر الطلاب غداً؟**

(س^{2}: عاصمة(س^{2}))مك.مف.بؤ.جد

- في سياق: **أين ومتى يسافر الطلاب؟**

(س^{2}: عاصمة(س^{2}))مك.مف.بؤ.جد(ص^{1}:غد(ص^{1}))زم بؤ.جد

- في سياق: **من يسافر إلى العاصمة غداً؟**

(س^{1}:طالب(س^{1}))منف.فا.بؤ.جد(س^{2}:عاصمة)(س^{2})مك.مف.مح (ص^{1})زم.مح

- في سياق: **هل يسافر الطلاب إلى العاصمة اليوم أم غداً؟**

(ص^{1})زم.بؤ مق.

+ في النحو الوظيفي لا يمكن أن يكون هناك أكثر من مفعول واحد.

+ المستفيد غير وارد بالنسبة للغة العربية.

+ ما هي أنواع الوظائف التداولية المسندة إلى مكونات هذه الجملة في مستوى البنية التحتية:

* **هندٌ، زار أحمد أخاها، بل أباها**. سياق الجملة: من زار أحمد؟

(مبتدأ) (محور) (بؤ.جد) (ذيل) تصحيح.

يشكل معلومة مشتركة بين المتكلم والمخاطب

محط المعلومة التي يطلبها المخاطب

معلومة تصحيح معلومة خاطئة

الجواب: تسند إلى الحد (هند) الوظيفة التداولية مبتدأ...

+ حد البنية التحتية للجملة الآتية في إطار النحو الوظيفي:

- **في المقهى نظم زيد الشاعر القصيدة**. الواردة في سياق: أنظم زيد القصيدة في الحديقة؟

[خب[تا[مض ن.ظ.م {فَعَلَ}ف (ع1ذس^{1}: زيد: شاعرص: (س^{1}))منف فا مح

(ع1ث س^{2}: قصيد(س^{2}))متق.مف(مح) (ع1ث(ص^{1}): مقهى(ص^{1}))مك بؤ مقا]]]

+ يتميز النحو الوظيفي بخاصيتين: الأولى: خاصية التجريد: إنه يمثل للمعلومات في مستوى البنية التحتية تجريدياً، ويتميز أيضاً بخاصية الواقعية: أن هذه المعلومات التجريدية قابلة للتحقيق صرفياً وتركيبياً ودلالياً في مستوى البنية السطحية (البنية المكونية) في أية لغة من اللغات.

- الحد بصفة عامة يتكون في البنية المكونية من مخصص أو مخصصات أو مقيد أو مجموعة من المقيدات:

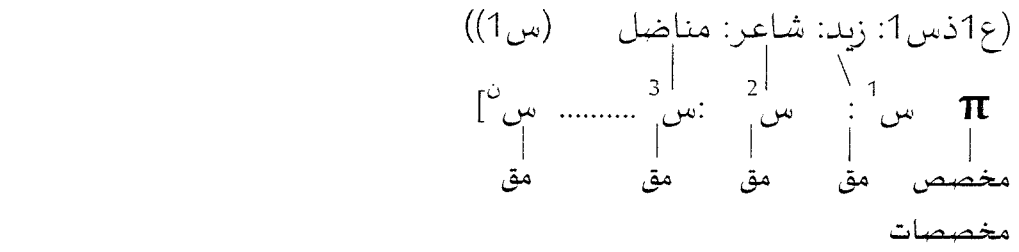

إن الموضوعات في البنية التحتية تمثل على شكل حدود.

الشاعر، المناضل مقيدات + حينما نحقق الحدود في مستوى البنية السطحية تسمى هذه الحدود مركبات.

- قواعد التعبير، مسؤولة عن نقل الحدود إلى مركبات وبواسطة تطبيق قواعد صياغة المركبات، ومسؤولة عن تحقيق المحمولات صرفياً وتركيبياً بواسطة قواعد صياغة المحمولات، ومسؤولة عن ترتيب المكونات داخل الجملة ترتيباً نهائياً بواسطة تطبيق قواعد المَوْقَعَةُ، ومسؤولة أيضاً عن إسناد النبر إلى بعض المكونات في الجملة وإسناد التنغيم الصاعد أو النازل إلى الجملة ككل بواسطة تطبيق قواعد إسناد النبر والتنغيم، ومسؤولة عن إدماج المعلقات (الحروف) في مواقعها المناسبة بواسطة تطبيق قواعد إدماج المعلقات.

- قواعد صياغة المركبات:

هذه القواعد صنفان: الصنف الأول يقوم بتحديد البنية التركيبية الداخلية للمركبات: من خلال تحديد الوضع التركيبي للمقيدات (أسماء، حروف...). 2- تعيين الصورة التي تتحقق بها المخصصات. 3- وتحديد المواقع التي تأخذها العناصر داخل المركبات. أما الصنف الثاني: فيستهدف رصد مختلف العلاقات التركيبية بين المحمول والمركبات الواردة معها.

ويشتمل على قواعد إسناد الحالات الإعرابية منها ما هو مختص بالمركبات ومنها ما هو مختص بالعناصر المكونة لهذه المركبات.

➢ **مكون قواعد التعبير: وقواعد صياغة المركبات:**

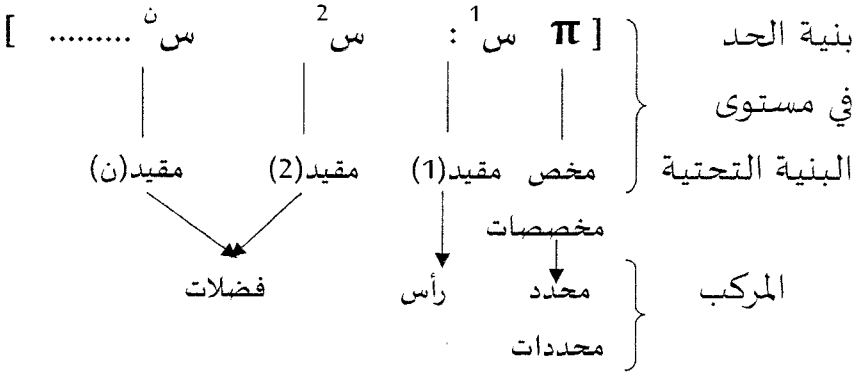

- حضر (الطالب المجد) (الحفل).

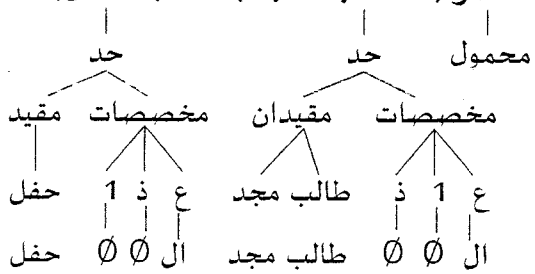

- زرت (مدينة ساحلية جميلة)

حد يتكون من مخصصات: التنكير التأنيث والإفراد ومقيدات ثلاث (المدينة، الساحلية، جميلة)

وعندما ينتقل الحد إلى مستوى البنية السطحية يصبح مركباً وبنية المركب تختلف عن بنية الحد: تحقق المخصصات في محددات (المخصصات: مجردة).

والمحددات (محقَّقة). أما المقيدات فنميز بينها بين ما يعد رأساً وبين ما يعد فضلات.

(زرت (مدينة ساحلية جميلة

رأس فضلات

- قاعدة انتقاء رأس المركب:

المقيد الذي ينتقى رأساً للمركب هو:

أ- المقيد الوحيد الوارد في الحد الذي يتضمن مقيداً واحداً: (حضر الرجلُ): الرجل رأس.

ب- المقيد الأول في الحد الذي يتضمن أكثر من مقيد: (زرت مدينة ساحلية جميلة).

حد (رأس) فضلة فضلة

- كيفية تحقيق المخصصات:

تتضمن المخصصات في العربية الأعداد والأسوار وأسماء الإشارة وأداتي التعريف والتنكير.

تنقل المخصصات إلى محددات بواسطة تطبيق مجموعة من القواعد منها مثلاً قاعدة تحقيق مخصص التعريف، وقاعدة تحقيق مخصص التنكير.

قاعدة التعريف
- دخْل: (ع س ي: **α** (س ي))
- خَرْج: (س ي: ال - **α** (س ي))

قاعدة التنكير
- دخْل: (ن س ي: **α** (س ي))
- خَرْج: (س ي: **α** - ـــــ (س ي))

يحقق مخصص التعريف في سياق س ي في صورة أل في العربية. **α** حد.

قاعدة التنكير: يحقق مخصص التنكير في سياق س ي بالتنوين في العربية بالطبع.

قاعدة الإشارة: الإشارة: القريب هذا – المتوسط: ذاك. البعيد: ذلك.

- دخل: (ش/ب س ي: **α** (س ي)).

- خرج: (س ي: ذلك - **α** (س ي)).

- قواعد ترتيب المخصصات:

رجل (من الرجل العظيم).

(محمول) حد يتكون من مجموعة من المخصصات: الإشارة، التعريف، الإفراد، التذكير.

ومجموعة من المقيدات (2): الرجل- العظيم. (الرجل رأس: العظيم: فضلة.

العربية لا تخصص محدداً يدل على الإفراد والتذكير، وإنما تخصص محدداً يدل على التثنية والجمع وعلى التأنيث وعلى الإشارة والتعريف والتنكير.

محدد الإشارة في العربية يسبق في العربية محدد التعريف، في الإنجليزية لا تقبل أن يتوارد المحددان السابقان (This book = هذا الكتاب. ولا تقبل *This the book).

- <u>قاعدة ترتيب المقيدات:</u>

- دخل: (محدد رأس فضلات).

- خرج: (محدد > رأس > فضلات).

- قاعدة ترتيب المخصصات:

- دخل: (إشارة تعريف).

- خرج: (إشارة > تعريف).

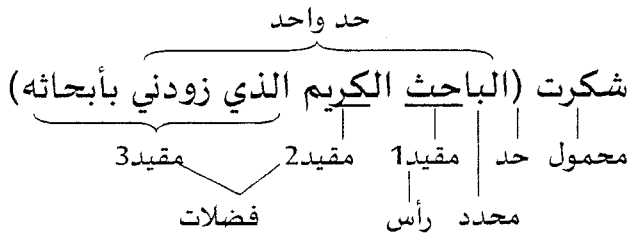

«قدم الفضلة الأقل تعقيداً على الفضلة الأكثر تعقيداً».

شكرت الباحث الذي زودني بأبحاثه الكريم.

+ الحرف يتقدم على باقي المحددات والرأس والفضلات.

- دخل: (حرف محدد رأس فضلات).

- خرج: (حرف > محدد > رأس > فضلات).

- قواعد إسناد الحالات الإعرابية:

الإعراب في نظرية النحو الوظيفي غير عاملي لا يقوم على مفهوم العامل وإنما على الوظائف التي تسند إلى المكونات وبموجب هذه الوظائف تأخذ المكونات إعرابها، هناك إعراب مجرد: هو الرفع والنصب والجر وهي مفاهيم مجردة يتم تحقيقها في اللغات (بعضها) ولا يتم تحقيقها في لغات أخرى. وعليه كل اللغات الطبيعية إعرابية، منها ما يتحقق فيها الإعراب كالعربية ومنها ما لا يتحقق فيها كالفرنسية والإنجليزية. وهناك إعراب محقق: هو التعبير التركيبي والصرفي يحق الإعراب المجرد ويتم ذلك بواسطة علامات إعرابية هي: علامة الضم بالنسبة للرفع، وعلامة الفتحة للنصب، وعلامة الكسرة بالنسبة للجر. كما يميز في النحو الوظيفي بين الإعراب البنيوي: وهو الإعراب الذي يتم على أساس الحروف (الجر مثلاً) والإعراب الوظيفي: وهو الإعراب الذي تقوم الوظائف بإسنادها إلى المكونات، إذا توارد على مكون واحد إعراب وظيفي وبنيوي، فإن الأسبقية تعطى للإعراب البنيوي، ويتم إسناد الإعراب تبعاً للسلمية الآتية:

سلمية إسناد الإعراب:

الوظائف التركيبية > الوظائف الدلالية > الوظائف التداولية.

مُفَادُ هذه السلمية أن المكون الذي يحمل وظيفة دلالية ووظيفة تركيبية ووظيفة تداولية يأخذ إعرابه بمقتضى وظيفته التركيبية أولاً، أما إذا المكون لا يحمل إلاَّ وظيفة دلالية ووظيفة تداولية فإنه يأخذ إعرابه بمقتضى وظيفته الدلالية أولا. أما إذا كان المكون لا يحمل إلاّ وظيفة تداولية، فإنه يأخذ إعرابه بمقتضى وظيفته التداولية تلك.

الوظيفة التركيبية الفاعل: تسند الرفع إلى المكون، والوظيفة التركيبية المفعول تسند النصب إلى المكون. الوظائف الدلالية كلها: تسند النصب إلى المكونات. أما الوظائف التداولية: فمنها ما يسند الرفع كالمبتدأ ومنها غير ذلك.

الإعراب البنيوي: محدود مجاله في إسناد الجر.

- «**حضر الطالب المجدُّ الحفلَ ليلاً**» في سياق الكلام: هل حضر الطالب المجد الحفل ليلا؟

الجملة تسند إليها الوظيفة بؤ.جد.

حضر الطالب المجد الحفل ليلاً

منف.فا.مح متق.مف.زم

الطالب رأس والفضلة (المجد) تأخذ إعراب الرأس. الحفل يأخذ النصب بمقتضى وظيفته التركيبية.

- «**ليلاً حضر الطالب الحفلَ مع أخيه**». في سياق هل حضر الطالب الحفل مع أخيه ليلاً أم نهاراً؟

بؤمقا منف.فا.مح متق.مف مصاحب

ليلاً لا تأخذ إلا الوظيفة التداولية ويأخذ إعرابه النصب بمقتضى وظيفته التداولية (بؤ.مق) تلك.

أخيه: يتوارد عليه إعرابان: البنيوي (الجر بالحرف مع) و(الإعراب الوظيفي).

لابد من اعتبار الأسوار مقيدات تحمل الإعراب خلافاً للمخصصات التي لا تحمل الإعراب.

مثل: **المغربُ، زار أحمدُ كلَّ مدنه.**

مبتدأ منف.فا مقيد1 مقيد2 مقيد3

رأس فضلة فضلة

كان لابد للفضلات أن تأخذ إعراب الرأس (كل) وهو النصب، لكن يتدخل الرأس أيضاً لسند الجر للفضلات (مدن والماء) وهو كأنه في ذلك كالحرف ← صعوبة تصنيف السور أهو مقيد أم مخصص؟ كما سبق الأجدر أن نعتبره مقيداً.

- **بناء البنية المكونية:**

+ قواعد صياغة المحمول:

In put Out put

- دخل: {[تا[مض- ف]]} ← خرج: {ماض- ف}
- دخل: {[غ تا[حا- ف]]} ← خرج: {مضا ل ف}
- دخل: {[غ تا[مض- ف]]} ← خرج: {كان- مضا- ف}
- دخل: {[غ تا[مستقبل- ف]]} ← خرج: {س / سف- مضا ف}

الماض: Accompli – المضارع: Inaccompli

1+ كتب زيد مقالة.

دخل: {[تا[مض ك.ت.ب {فَعَل} ف]]

خرج: م كَتَبْ.

2+ يكتب زيدٌ مقالة.

دخل: {[غ تا[حا.ك.ت.ب {يفْعَل} ف]]

خرج: يكتب

3+ كان يكتب زيد مقالة.

دخل: [غ تا[مض ك.ت.ب {فَعَل} ف]]

خرج: كان يكتبْ

4+ سوف/ سيكتب زيد مقالة.

دخل: [غ تا[مستقبل ك.ت.ب {سيفعل} ف]]

خرج: سيفعلْ / سوف يفعلْ ← سيكتبْ/ سوف يكتبْ

- قاعدة المطابقة:

دخل: {ماض. ف}{فا} ← خرج: {ماض- ـَ/ ـَت}{فا}

دخل: {مضا- ف}{فا} ← خرج: {يـ /ت- مضا- ف}{فا}

- **قواعد الإدماج:**

تسمى أساساً بإدماج المؤشرات القوة الإنجازية.

الاستفهام وإنَّ لتوكيد الإثبات كما تعنى بإدماج الحروف في محلاتها المناسبة كحروف الجر وحروف أخرى مثل أن.

- إدماج المعلقات يرتبط بالوظائف الدلالية وبقيود الانتقاء التي يفرضها المحمول على الحدود. مثل: «**سافر زيد إلى فاس**» (فاس)مك.هدف ندمج [إلى]. ومثل: «**سافر زيد من فاس إلى مراكش**». (فاس)مكا. مصدر لذلك ندمج [من]. و(مراكش)مك. هدف لذلك ندمج [إلى].

- **قواعد المَوْقَعة:**

البنية الموقعية للجملة الفعلية بالعربية:

- $م^4$ ، $م^2$ ، $م^1$ $م^{\emptyset}$ ف $(م^T)$ فا (مف) (ص) ، $م^3$

منادى مبتدأ مصدري محور فعل محور فاعل مفعول لاحق ذيل

بؤرة مقابلة

المصدريات: كل من يصدر به الكلام /(ص) الحدود التي لا تحمل وظيفة تداولية وتركيبية (لاحق) م4 و م2 و م3 مواقع تحتلها المكونات الخارجية التي تحمل الوظائف الدلالية على التوالي: منادى، مبتدأ وذيل.

المواقع الداخلي: $م^1$: المصدريات.

الكيفية التي تتم بها موقعة المكونات في هذه البنية العامة:

- سلمية موقعة المكونات:

الوظائف التداولية > الوظائف التركيبية > الوظائف الدلالية.

تموقع المكونات بناء على وظائفها التداولية، فإن لم تكن المكونات تحمل وظائف تداولية فتموقع بناء على وظائفها التركيبية وإلاّ فبناءً على وظائفها الدلالية.

- بعث زيد رسالة إلى أحمد الشهر الماضي.

هذه المكونات في مستوى البنية التحتية يمثل لها كما يلي:

[خب[ف منف فامح متقمف مستقبؤ.مقابلة زم].

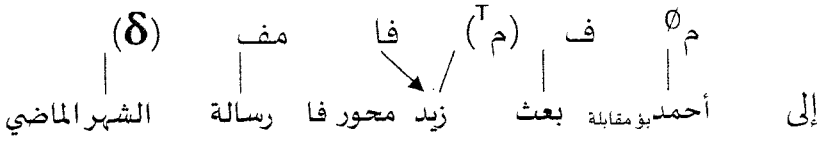

الموقعة لا تكون إلا بعد تطبيق قواعد إدماج المعلقات (حروف الجر مثلاً).

هناك مبدأ بنيوي:

الأقل تعقيداً > الأكثر تعقيداً (التعقيد المقولي وليس المعنوي).

بهذا المبدأ تصبح سلمية الموقعة كما يلي:

التعقيد المقولي > الوظائف التداولية > الوظائف التركيبية > الوظائف الدلالية.

مثال:

«سُرَّ الأستاذَ أن نجح زيدٌ في الامتحان»

أقل تعقيداً من الناحية المقولية.

ديك:

ضمير متصل > ضمير منفصل ← وهبتُها إيَّاه.

مركب اسمي > م. حرفي > الجملة المدمجة. ← (وأن نجح بكرٌ في الامتحان)

بعث زيد رسالة إلى أحمد

م. اسمي م. حرفي

+ قواعد إسناد النبر والتنغيم:

النبر يسند إلى مكون واحد. التنغيم يسند إلى الحمل بكامله.

التنغيم نوعان: صاعد ونازل: صاعد في حالة الاستفهام ونازل في حالة الإخبار.

مكتبة ورافة العمران
LIBRAIRIE ALOMRANE